الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى مشايخ الهند
ومتصوفة أفغانستان ومصر
وغيرها من الممالك

الحمد لله الذي غلبت رحمته على غضبه في كل ما فعل وقضى، وسبقت أنواره على كُل ليل اكْفَهَرَّ وسجى. هو الله الذي يأتي منه فوج اليسر مع كُلّ عسرٍ عرا. يدعـــو إلى رحمته كل ورقٍ يوجدُ على الأشجار، وكل برقٍ يبرق في الأحجار، وكُل اختلافٍ ترون في الليل والنهار، وكل ما في الأرض والسماء.

ومن آيات رحمته أنه أرسل الرسل، وبعث النُّذُرَ، وأسّس عماراتِ الهدى. ومن آيات رحمته العظيمة.. البدر الذي طلع من أم القُرى، في ليلة اسودت ذوائبها العظمى، فرفع الظلمات كلها، ووضع سراجًا منيرا أمام كل عين ترى. ما عندنا لفـــظٌ نشكر به على مننه الكبرى. أيقظ العالمين كلهم، ونفى عن النائمين الكَرى. تلقى كلّ هَمٍّ وغمٍّ للدين بطيب النفس لما انبرى، وسنَّ بذلَ النفسِ لله لكل من يطلب المولى. فنى في الله.. وسعى لله.. ودعا إلى الله..

وطهّرَ الأرض حق طهارتها، فيا عجبا للفتى! رب.. اجْزِ منا هذا الرسولَ الكريم خير ما تجزي أحدا من الورى. وتَوفَّنا في زمرته، واحشرنا في أمته، واسقنا من عينه، واجعلها لنا السُقْيا. واجعله لنا الشفيع المشفع في الأولى والأخرى. رب.. فتقبل منا هذا الدعاء، وآوِنا هذا الــذَّرى. رَبِّ.. يا ربِّ.. صَلّ وسلّم وبارك على ذلك النبي الرؤوف الرحيم، وعلى كُل من أحبه وأطاع أمره واتبع الهدى.

أمّا بعد.. فاعلموا أيها الفقراء والزهاد.. ومشائخَ الهند وغيرها من البلاد.. الذين وقعوا في البدعات والفساد، أنني أُمرت أن أبلغكم أحكام الدين، وأذكّركم ما نسيتم من أسرار الشرع المتين. وقد ألهمني ربي في أمركم وقال: إنهم ينادَون من مكان بعيد. ويفعل ربي ما يشاء، وهو القاهر فوق القاهرين.

يا قوم.. اتقوا الله.. ولا تتبعوا أهواء قوم مبتدعين، واتّبعوا الرسول النبيّ الأمي الذي هو رحمة للعالمين. واعلموا.. يا إخوان.. أني أُرسلت محدَّثا من الله إليكم، وإلى كل من في الأرض، فاتقوه ولا تحتقروا المرسلين. واجتنِبوا الرجس من البدعات، وإياكم والمحدَثاتِ، وكونوا عباد الله الصالحين.

يا قوم.. إنّي عبد الله.. مَنّ عليّ برحمة من عنده، وعلّمني من لدنه علم الأولين. وأَرْسلني على رأس هذه المائة، لأنذر قومًا ما أنذر آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. هو ناداني وقال قل لعبادي: إنني أمرت وأنا أوّل المؤمنين. وسماني باسم يناسب اسم قوم.. أرسلت

لإفحامهم وإلزامهم.. وهم قوم المتنصّرين، الذين علَوا في الأرض، واستضعفوا أهل الحق، وزينوا الباطل ليدحضوا به الحق، وكانوا قومًا مسرفين. وأهلكوا كثيرًا من الناس بتلبيساتهم، وجمحوا في جهلاتهم، وقلّبوا للإسلام أمورًا، وجذبوا الناس إلى خزعبلاتهم، وجاءوا بسحر مبين. فنظر الله إلى قلوبهم، فوجدهم غالين دجالين ضالين مضلين. قد أفسدوا طرقهم كلها، وبغوا أمام الرب، وأرادوا أن يفسدوا أقوامًا آخرين. يلحَسون المذاهب كما يلحَس الثور خضرة الحقل، ويريدون علوًّا وفسادا، وليسوا من الخاشعين. فتَن الناسَ فهمُهم ودرايتهم، وكُبْر سرّ غوايتهم، وكانوا في علوم الدنيا وصنائعها من المستبصرين. أوقدوا من المفاسد نارًا، وأجرَوا من الفتن أنهارًا، ومكروا مكرًا كُبَّارًا، وبلغوا مقدارًا لن تجدوا مثله في مكائد المتقدمين. أجمعوا همتهم لاستيصال الإسلام، واستدرّوا لِقحتهم لتأليف قلوب اللئام، وأدخلوا أيديهم في قلوب المسلمين. وكان العلماء كمفلس في أعين أعيانهم، أو كمضغة تحت أسنانهم، وكان قومنا سُخْرة المستهزئين. فأراد الله أن يفصل بين النور والظلمة، ويحكُم بين الرجس والقدس، ويمن على المستضعفين. ورأى فتنتهم بلاءً عظيمًا على الإسلام، ورأى أيّامهم كليالٍ مخوفةٍ من الإظلام، ووجدهم في الفتن قومًا عالين. ما كان فتنة مثل هذا من يوم خلق آدم إلى يومنا هذا.. بل إلى يوم الدين. ومع ذلك تملكوا وعلوا في الأرض، وأثمروا وأكثروا، وأملأوا الأرض كثرة،

وزادوا هيبة وشوكة، وبارك الله في أموالهم وأولادهم، وعلـــومهم وفنونهم وصنائعهم، وأعانَهم في إراداتهم وأفكارهم وأنظارهم، وفتح عليهم أبواب كُلِّ شيء.. ابتلاءً من عنده.. فعمُوا وصمّوا وكـــانوا من الـــمُعْجبين.

وأزاغ الله قلوب علمائنا وفقرائنا، وأطفأ نور قلوبهم حتى عادوا إلى الجهالة التي أُخرجوا منها بما كانوا يفسدون في الأرض، وما كانوا من المصلحين. ففنوا في الأهواء، واستكانوا في الآراء، ووهنوا وكسِلوا، وذرّت ريح الجهل ترابهم، وسُلبت قواهم كلّها فصاروا كالميّتين.

ونظر الربّ إلى أمرائنا فوجدهم المسرفين الغافلين، المعرضين عن التقوى والحق، والظالمين العادين. فباعد بينهم وبين شهواتهم، وباعدهم عن الأملاك التي ارتبطت قلوبهم بها، وأخرج من أيديهم أكثر أملاكهم وأراضيهم، وتبّر كلّ ما كانوا عليها كالعاكفين. وقشِفت الوجوه من آفات الجوع والبؤس، وخمدت نار المتموّلين، وقُصِمَتْ عظامهم، وحُطِمَتْ سهامهم، ليعلموا لِيامُهم أنّهم كانوا من المتمرّدين.

وأحاطت شصية المتنصّرين وشَرَكُ سُراتِهم مِن سَمَكِ البحر إلى سماك السماء، وجرت فُلْكُهم في بحر الإضلال مواخرَ، ووقعت رَجْفةٌ من عظمة شأنهم على كُلِّ ما في الأرض.. فخرّوا لهم ساجدين. وما بقي من عشّ ولا كنّ ولا وكر إلا دخلت فيه أيدي الصيادين. ونقلوا خُطواتهم إلى الاعتداء.. حتى نظروا في صحف

الرسل ففسّروها برأيهم، وزادوا فيها أشياء، ونقصوا منها، كأنّهم الأنبياء ومن المرسلين. ثم مالوا إلى ملكوت الله وأفعال الألوهية.. فدخلوا في أمور ما كان لهم أن يدخلوا فيها، وفرحوا بتدابيرهم، وحسبوا أنفسهم قادرين على كل شيء كأنهم إله العالمين. واستغنوا وعتَوا عتوًّا كبيرًا، وقطعوا بكبرهم وكفرهم وأنانيتهم آذانَ دهريّين. فهذا هو المراد من ادّعاء النبوّة وادعاء الألوهية، فليفهم من كان من الفَهِمين. وفسدت الأرض بفسادهم، وسارع الناس إلى زينتهم ورشادهم ولمعان فِرْصادهم، وثريدهم وجنّتهم وآرادهم، إلا ما شاء الله.. يحفظ من يشاء.. وهو خير الحافظين. وهاج طوفان عظيم على أعمال الناس وعقائدهم، وطهارتهم وتقواهم، ونيّاتهم وخطراتهم، وأفعالهم وأقوالهم، وأبصارهم وآذانهم، ودينهم وإيمانهم، وأخلاقهم وسنن إحسانهم، ومروّتهم ورَثاهم، وأبنائهم وإخوانهم، وبناتهم ونسوانهم، وزهدهم وعرفانهم، وأيديهم ولسانهم، وهبّت ريح الفساد من كل طرف، وأحاطت الظلمة على كلّ جهة، وزلزلت الخلق زلزالا شديدًا، وطارت حواسهم، وكانوا كالمبهوتين. وكانوا لا يدرون أَعذابٌ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربّهم رحما، وكانوا لِسرّ الغيب منتظرين. وانشقت فُلْكُهم في بحر الزيغان، وهاجت الأمواج من كل طرف، وكادوا أن يكونوا من المغرقين.

فناداني ربّي من السماء.. أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا، وقم وأنذر فإنّك من المأمورين، لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم، ولتستبين

سبيل المجرمين. إنا جعلناك المسيح بن مريم، لأتِمّ حجّتي على قوم متنصّرين. قل هذا فضل ربّي، وإنّي أجرِّد نفسي من ضروب الخطاب، وأمرتُ من الله وأنا أوّل المؤمنين. إنه يرى الأوقات ويعلم مصالحها، وإن من شيء إلا عنده خزائنه. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. قل أتعجبون من فعل الله؟ قل هو الله أعجب العجيبين! يرفع من يشاء، ويضع من يشاء، ويُعزّ من يشاء، ويذل من يشاء، ويجتبي إليه من يشاء، لا يُسأل عمّا يفعل وهم من المسئولين. قل الحمد لله الذي أذهب عني الحزن، وأعطاني ما لم يعط أحد من العالمين. وقالوا كتابٌ ممتلئ من الكفر والكذب. قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. وادع عبادي إلى الحق، وبشّرهم بأيّام الله، وادعهم إلى كتاب مبين. إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، والله معهم حيثما كانوا.. إن كانوا في بيعتهم من الصادقين. قل إن كنتم تحبون الله فاتّبعوني يحببكم الله، ويجعل لكم نورًا، ويجعل لكم فرقانًا، ويجعلكم من المنصورين. إن الله مع الذين اتقَوا، وإن الله مع المحسنين.

هذا ما ألهمني ربّي.. في وقتي هذا ومن قبل.. ينعم على من يشاء وهو خير المنعمين. وإنّ له عبادًا من الأولياء يسمّون في السماء تسمية الأنبياء بما كانوا يشابهونهم في جوهرهم وطبعهم، وبما كانوا يأخذون نورًا من أنوارهم، وكانوا على خُلقهم مخلوقين. فيجعلهم

الله وارثهم، ويدعوهم بأسماء مورثيهم، وكذلك يفعل وهو خير الفاعلين. وللأرواح مناسبات بالأرواح لا يُدْرى دقائقها، فالذين تناسبوا يُعَدّون كنفس واحدة، ويطلق أسماء بعضهم على بعض، وكذلك جرت سنة الله، وذلك أمرٌ لا يخفى على العارفين. إن الله وتر يحب الوتر، ولأجل ذلك قد استمرت سنّته أنه يرسل بعض الأولياء على قدم بعض الأنبياء، فمن بعث على قدم نبيّ يسمّى في الملأ الأعلى باسم ذلك النبي الأمين، ويُنـــزل الله عليه سرَّ روحه، وحقيقة جوهره، وصفاء سيرته، وشأن شمائله، ويوحّد جوهره بجوهره، وطبيعته بطبيعته، واسمه باسمه، ويجعل إراداته في إراداته، وتوجهاته في توجهاته، وأغراضه في أغراضه، ويجعلهما كالمـــرايا المتقابلة في الإنارة والاستنارة، كأنّهما شيءٌ واحدٌ.. وذلك سرّ التوحيد في أرواح الطيّبين. فهذا هو السرّ الذي سمّاني الله برعايته **المسيح الموعود**، فتفكروا في السرّ ولا تكونوا من المستعجلين. ما كان الله أن يرسل نبيّا بعد نبيّنا **خاتم النبيّين**، وما كان أن يُحدث سلسلة النبوة ثانيًا بعد انقطاعها، وينسخ بعض أحكام القرآن، ويزيد عليها، ويُخلف وعده، وينسى إكماله الفرقان، ويُحدث الفتن في الدين المتين.

ألا تقرؤون في أحاديث المصطفى.. سلّم الله عليه وصلّى.. أن المسيح يكون أحدًا من أمته، ويتبع جميع أحكام ملّته، ويصلّي مع المصلّين. وقد ملئ القرآن من آياتٍ تشهد كلها على أن المسيح ابن

مريم قد تُوفِّي، ولحق بإخوانه إبراهيم وموسى، وأخبر بوفاته رسول الله ﷺ وهو أصدق المخبرين. ألا تقرؤون في القرآن: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾،[1] ﴿فلمّا توفيتني﴾؟[2] ألا تقرؤون: ﴿ما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾؟[3] ألا تقرؤون في صحيح الإمام البخاري: متوفيك: مُميتك؟ فما بقي بعد هذه الشهادات محل شك للمشككين. وبأيّ حديث تؤمنون بعد آيات رب العالمين؟ ألا ترون أنه ﷺ قال في علامات المسيح وفي بيان وقت ظهوره إنه يكسر الصليب، ويقتل الخنـــزير؟ فاعلموا أنّه ﷺ أشار إلى أنه يأتي في وقت يُعبَد الصليب فيه، ويؤكل الخنـــزير بكثرة، ويكون لعبدة الصليب غلبة في الأرضين. فيأتي ويكسر غلبتهم، ويدقّ صليبهم، ويهدم عماراتِهم، ويخرّب مرتفعاتهم بالحجج والبراهين.

أيها الناس! اذكروا شأن المصطفى.. عليه سلام رب السماوات العلى.. واقرؤوا كتب المتنصّرين، وانظروا صولتهم على عرض سيد الورى، فلا تُطرُوا ابن مريم، ولا تعينوا النصارى يا وُلْدَ المسلمين. ألرسولنا الموت والحياة لعيسى؟ تلك إذًا قسمة ضيزى! ما لكم لا ترجون وقارًا لسيّد السيّدين؟ أتجادلونني بأحاديث ورد فيها أن المسيح سينـــزل، وتنسون أحاديث أخرى، وتأخذون شقا وتتركون شقا آخر،

---

[1] *سورة آل عمران:٥٦.* [2] *سورة المائدة:١١٨.* [3] *سورة آل عمران:١٤٥.*

وتذرون طريق المحققين؟ ولا يغرّنكم اسم "ابن مريم" في أقوال خير الورى، إن هو إلا فتنة من الله ليعلم المصيبين منكم وليعلم المخطين، وليجزي الله الصابرين الظانين بأنفسهم ظن الخير، ويجعل الرجس على المعتدين. وقد خلت سننه كمثل هذا، فليتفتش من كان من المتفتّشين.

لقد كان في **إيليا** وقصة نزوله نظيرٌ شافٍ للطالبين. فاقرؤوا الإنجيل وتدبّروا في آياته بنظر عميق أمين. إذ قالت اليهود: يا عيسى.. كيف تزعم أنّك أنت المسيح.. وقد وجب أن يأتي إيليا قبله كما ورد في صحف النبيّين؟ قال: قد جاءكم إيليا فلم تعرفوه، وأشار إلى **يحيى** وقال: هذا هو إيليا إن كنتم موقنين. قالوا: إنك أنت مُفتر.. أتنحتُ معنى منكرًا؟ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. قال: يا قوم.. ما افتريتُ على الله، لكنكم لا تفهمون أسرار كتب المرسلين.

تلك قضيةٌ قضاها عيسى نبي الله، وفي ذلك عبرة للمسلمين. ما كان نزول بشرٍ من السماء من سنن الله، وإن كان فأتوا بنظير من قرون خالية إن كنتم من المهتدين. وما كان فينا من واقع إلا خلا لـــه نظير من قبل، وإليه أشار الله وهو أصدق الصادقين ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾*. وقد مضت سنة الأوّلين. خصمان تخالفا في رأيهما.. فأحدهما

* *سورة الأحزاب: ٦٣*

متمسك بنظير مثله، والآخر لا نظير عنده أصلا.. فأي الخصيمَين أقرب إلى الصدق؟ انظروا بأعين المنـــصفين.

يا أيها الناس، التُّقى التُّقى.. النُّهى النُّهى.. ولا تتبعوا أهواء فيج أعوج، واذكروا ما قال المصطفى. لقد جئتكم حكمًا عدلا للقضايا وجب فصلها، فاقبلوا شهادتي، إني أوتيت علمًا ما لم تؤتوه وما يؤتى. وإن كنتم في شك من أمري فتعالوا ليفتح الله بيننا وبينكم، وهو الرب الأقدر الأقوى. إنه مع الصادقين.. يسمع ويرى. وبشرني في وقتي هذا، وقال: يا عيسى سأُريك آياتي الكبرى. فأيّ نهج الفصل أهدى من هذا إن كنتم تطلبون الهُدى؟ وقد جئت حين سجَى الدجى، وغابت الحق من الوَجى، وكانت تلك الأيّام أيّام الوباء. قد هلكت فيه أمم كثيرة، وكان الإسلام نِضْوَ سُرًى، ما كان لـــه من موئل ومأوى، كخابط ليلة ليلاءَ، وكان الطالبون كذي مجاعة جَوِي الحشا، مشتمل على الطَّوى. فأوحى إليَّ ربّي ما أوحى. فنهضتُ ملبّيا للنداء، فأنبأني ربّي مما سيأتي وما مضى. وصافاني ونجّاني من كل هم وبلاء، وبشرني بغلبتي على كل من خالف وأبى. وأوحى إليّ بأنني غالبٌ على كل خصيم أعمى. وقال: إني مهين من أراد إهانتك، وأحسنَ إلي بآلاء لا تعد ولا تحصى. وقال: إني معك حيثما كنتَ، وإنّي ناصرك، وإنّي بُدُّك اللازم وعَضُدُك الأقوى. وأمرني أن أدعو الخلق إلى الفرقان ودين خير الورى، الذي سن التبليغ وحث على الجهد وحمل الأذى.

لستُ بنبيّ، ولكن محدَّث الله وكليم الله لأجدد دين المصطفى. وقد بعثني على رأس المائة، وعلّمني من لدنه علوم الهدى. وإن كنتم تشكون في أمري، وتحسبون أنكم على حق في مخالفتي، وتظنون قربتكم أعظم من قربتي، فها أنا قائم في موطن المقابلة لرؤية آيات صدقكم وإراءة برهاني على الاصطفاء. وأعزم عليكم بالله الذي هو خالق الأرض والسماء، أن لا تمهلوني طرفة عين، وجاهدوا لهزيمتي حق جهادكم، واستفتحوا لأنفسكم من الله الأعلى. وحرام عليكم أن تتقاعسوا وتستأخروا ولا تبرزوا في مكان سُوى. واجتمعوا عليّ كلكم وارمُوا كل سهام من قوس واحد، فستعلمون من هلك ومن حفظه الله تعالى وأبقى. وإن تقبلوني فالله يباركَكم، ويجعلكم مثمرين مباركين آمنين، ويردّ إليكم أيّامكم الأولى، وتسكنون في أمان الله، ويتوب إليكم ربكم ويرضى، وكل سوء يتحوّل عنكم ويتناهى.

يا قوم، إنّي لستُ كافرًا كما يفشي ويفتري عليّ علماء السوء، وما افتريت شيئًا على ربّي، وما أقول لكم من عند نفسي، وقد خاب من افترى. وإني أعتقد من صميم قلبي أنّ للعالم صانعًا قديمًا واحدًا قادرًا كريمًا مقتدرًا على كل ما ظهر واختفى.

وأعتقد أنّ لله ملائكةً مقربين، لكل واحد منهم مقام معلوم، لا ينـــزل أحدٌ من مقامه ولا يرقى. ونزولهم الذي قد جاء في القرآن ليس كنـــزول الإنسان من الأعلى إلى الأسفل، ولا صعودهم

كصعود الناس من الأسفل إلى الأعلى، لأن في نزول الإنسان تحولا من المكان، ورائحةً من شِقّ الأنفس واللغوب، ولا يمسّهم لغبٌ ولا شقّ، ولا يتطرّق إليهم تغيّر، فلا تقيسوا نزولهم وصعودهم بأشياء أخرى، بل نزولهم وصعودهم بصبغ نزول الله وصعوده من العرش إلى السماء الدنيا، لأن الله أدخل وجودهم في الإيمانيات، وقال: ﴿ما يعلم جنود ربك إلا هو﴾،* فآمنوا بنزولهم وصعودهم ولا تدخلوا في كنههما، ذلك خيرٌ وأقرب للتقوى. وقد وصفهم الله بالقائمين والساجدين والصافّين والمسبحين والثابتين في مقامات معلومة، وجعل هذه الصفات لهم دائمة غير منفكّةٍ، وخصّهم بها؛ فكيف يجوز أن يترك الملائكة سجودهم وقيامهم، ويقصموا صفوفهم، ويذروا تسبيحهم وتقديسهم، ويتنزّلوا من مقاماتهم، ويهبطوا الأرض، ويُخلوا السماواتِ العُلى؟ بل هم يتحركون حال كونهم مستقرين في مقاماتهم، كالملك الذي على العرش استوى. وتعلمون أن الله ينزل إلى السماء في آخر كل ليل، ولا يقال إنه يترك العرش ثم يصعد إليه في أوقاتٍ أخرى، فكذلك الملائكة الذين كانوا في صبغة صفات ربهم، كمثل انصباغ الظلّ بصبغة أصله، لا نعرف حقيقتها ونؤمن بها. كيف نشبّه أحوالهم بأحوال إنسان نعرف حقيقة صفاته، وحدود خواصه، وسكناته وحركاته، وقد

---

* سورة المدثر: ٣٢

منعنا الله من هذا وقال: ﴿ما يعلم جنود ربك إلا هو﴾، فاتقوا الله يا أرباب النُهى.

ونعتقد.. كما كشف الله علينا.. أن عيسى ابن مريم قد تُوفّي ولحق بإخوانه النبيّين الصالحين، ورفع إلى مكان كان فيه يحيى.

ونعتقد أن رسولنا خير الرسل، وأفضل المرسلين، وخاتم النبيين، وأفضل من كل من يأتي وخلا. هو سلكني بنفسه المباركة، وربّاني بيده الطاهرة الـــمُطهرة، وأراني عظمته وملكوته، وعرّفني بأسراره العُليا.

ونعتقد أن كل آية القرآن بحر موّاج، مملوّ من دقائق الهدى. وباطل ما يعارضه ويخالف بيانه من قصصٍ وعلوم الدنيا والعقبى.

ونعتقد أن الجنّة حق، والنار حق، وحشر الأجساد حق، ومعجزات الأنبياء حق.

ونعتقد أن النجاة في الإسلام واتباع نبينا سيّد الورى. وكل ما هو خلاف الإسلام فنحن بريّون منها، ونؤمن بكل ما جاء به رسولنا ﷺ وإن لم نعلم حقيقته العُليا. ومن قال فينا خلاف ذلك فقد كذب علينا وافترى. فاتقوا الله ولا تصدّقوا أقوال كل ضَنينٍ مَهين.. سعى إليّ كتنِّينٍ، ومال إلى إكفاري بفَيلولةِ رأيه، واتّبع الهوى. واعلموا أن الإسلام ديني، وعلى التوحيد يقيني، وما ضل قلبي وما غوى. ومن ترك القُرآن واتّبع قياسًا.. فهو كرجل افتُرس

افتراسًا.. ووقع في الوِهاد الــمهلكة، وهلك وفنى. والله يعلم إني عاشق الإسلام، وفداء حضرة خير الأنام، و**غلام أحمد المصطفى**.

حُبّب إلي منذ صبوت إلى الشباب، وقادني التوفيق إلى تأليف الكتاب، أن أدعو المخالفين إلى دين الله الأجلى. فأرسلتُ إلى كل مخالف كتابًا، ودعوت إلى الإسلام شيخًا وشابًا، ووعدت أن أري الآياتِ طُلابًا، ووعدتُ لهم نَشَبًا كثيرًا إن عجزت جوابًا. فشاهت الوجوه وَأْبًا، وما جاء أحدٌ وما أتى. ولم يجيبوا النداءَ، ولا فاهوا بيضاءَ ولا سوداء، وما ركض أحد منهم وما دنا.

فهذه آيةٌ من آيات صدقي وسدادي لقوم يتفكرون. من عرفني فقد صدقني، ومن لم يعرفني فلم يصدقني، ومن جاهد في أمر يكشف الله ذلك الأمر عليه، فطوبى لقلوب هم يجاهدون. لن يُحرَز جَنى العود بالقعود، ولا يملِك فتيلا من لا يؤثر سبيلا، والذين يطلبون فهم يجدون.

فيا قوم.. لا تكفروني بغير عرفان، ولا تكذبوني بغير سلطان، ولا توسعوني سبّا، ولا توجعوني عتبًا، ولا تدخلوا في غيب الله، ولا تصروا على ما لا تعلمون. عسى أن تكفروا رجلا وهو مؤمن عند الله، وعسى أن تفسّقوا أحدًا وهو صالــحٌ عنده، والله يرى قلوب عباده وأنتم لا تُبصرون. يا قوم.. إن كنت على باطل فالله كاف لإزعاجي، وإن كنت على حق فأخاف أن تؤخذوا بما تعتدون.

يا متصوفي الهند.. إن أهل الصلاح منكم قدر قليلٌ، وأكثركم مبتدعون. وفيكم الذين مالوا إلى الرهبانية، وتركوا ما أُمروا به، ولا يخافون الله ولا يبالون. وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وإلى رياضات البراهمة يسارعون. ويُدمون سنابك سوابقهم، ويعقِرون مناسم رواسمهم، ويحسَبون أنهم يُحسنون. يقولون آمنا بالقرآن، ولا يؤمنون به، ويقولون نتبع السُنن، ولا يتبعونها، وهم إلى طرق الغي منقلبون.

إن الذين وجدوا الحق فهم قومٌ يقطعون تعلق الأشياء مع وجود تعلقها، ويتبتّلون إلى الله بنهج كأنه لا عرس لهم ولا غرس، ولا عنس لهم ولا فرس، ويؤثرون الله على كل ولدٍ وأهل ومالٍ، فهم الموفَّقون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون.

ومنكم من أخلد إلى الإباحة، واتبع النفس في جذباتها، وفَلَى مجاهلَ الهلاك والمَنون. وأضاع أساوِدَه وزاده ومِزْوَدَه، ونسي منازله ومناهله، وأغضب ربه، وقصفت الريح فُلْكَه، ودخل في الذين هم مغرقون. ألا يرى أن استصحاب الزاد من أصول المعاش والمعاد، وقد سنح له إِرْبُه إليها في الدنيا، ولا يمل فيها من كسب المال ومن كل ما يحجّون. فسوف يعلم لما يشرع في القُلْعة أنه يرحل بأيد صفر إلى دار دائمة الرُّجون.

ومنهم من أخلط عملا صالــحًا بغير صالح، ومزج الكفر بالإيمان، وركب اليقين بالظنون، فأجمع على الجنوح إلى هوى النفس، ووقع من شاطئ المرسى في بحر الظلم والرُّكون، وأوقع نفسه في مسالك الهُلْك، وبَوادي التبار، وفعل بنفسه ما لا يفعله المجنون.

يا حسرة عليهم! أحدثوا في الدين أشياء، وتبع كل منهم ما شاء، أُف لهم ولما يبدعون. وكم من بدعة ألزموا طائرها في عنقهم وهم بمفسادها فرحون. يحافظون على بدعات البراهمة، وشعار الكفرة الفجرة، وأخذوا كل طريقٍ من طرقهم، من قبيل إلقاء التوجه، وإجراء القلب، والعكوف على القبور وطوافها والسجدات لأهلها، وهم بها يفخرون. وما كان عبادتهم إلا تصوّر صور مشايخهم في الصلاة وخارجها، وبالله هم يشركون. ويفضّلون طرائقهم وطاغوتهم على النبي ﷺ، ويقولون: إنّا ما رأينا النبي، وما نعلم القرآن، إنْ نبينا إلا شيخنا، وملفوظاته قُرآننا، وإنا لمصيبون. يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضا، ولهم عذابٌ أليم بما كانوا يكذبون. تراهم عاري الجِلدة من لباس التقوى وصدق الإقدام، وبادي الجُرْدة من شعار الإسلام، وفي عيشتهم ووجوههم علمٌ على ما يكتمون. جوّهم مزمهرّ، ودَجْنُهم مكفهرّ، وفهمهم كالدواب، وزهدهم كملامح السراب، وهم يحسبون أنهم عارفون. تبًّا لِعيشتهم.. هم ثعالب في المعاملات، وذياب عند المخاصمات،

يفرحون بعطاء الناس، وهم عند المنع وترك الخدمة يعبِسون. يأوون إلى وَفْر، ويُعرضون من يد صفر، ويشتكون.

يحسبون أنهم صاحب دهاءٍ، وما هم إلا كإناء خالٍ من ماء، ويُسَرّون بهذيان المبطِرين المطرين ولا يفهمون. والسبيل إلى سَبْرهم وتقدير معارفهم وحِبْرهم ونور قلوبهم سهلٌ هيّن.. وهو أن يُعرَض القرآن الكريم عليهم ويُسألون. فإن الفرقان مملوٌّ من عجائب الأسرار ودقائقها ولطائفها، ولكن لا يمسه إلا المطهرون، ولا يستنبط سِرّه، ولا يطّلع على غموض معانيه إلا الذي أصابه حظٌّ من صبغة الله، فطوبى للذين يُصْبغون. وهم قوم شغفهم الله حبًّا، وطهّرهم نفسًا، وزكّاهم وجلّاهم، ورفعهم إليه، فهم في ذكر حِبّهم دائمون. جُذبوا إلى الحق بكل قلوبهم، وفنوا في ذكر محبوبهم، وبذلوا روحهم، وقضوا نحبهم، وصاروا بكل وجودهم لله، وهم عن أنفسهم منقطعون. ما بقي تحت ردائهم إلا الله، تحسبهم باقين موجودين وهم فانون. جرّدوا سيوفًا حديدة على أنفسهم سفاكين، وانسلخوا منها كما ينسلخ الحيّة من جلدها، ويرى الله صدقهم ووفاءهم، وهم عن أعين الناس غائبون. أعجبَ الملائكة سِلْمُهم وإسلامهم، وثباتهم وتعلقهم بحِبّهم، وجهال الناس عليهم يضحكون. يؤذونهم ببهتانات، ويكفرونهم بمفتريات، ولا يعلم سرهم إلا الله، وهم تحت قبابه مستورون.

والذين آثروا الحياة الدنيا واطمأنوا بها، وفسقوا وأفاحوا دم التقوى، وقَفَوا ما لم يكن لهم به علم، فسيعلمون أي منقلب ينقلبون. يخافون الخلق ولا يخافون الله، وهم على أنفسهم شاهدون. منَعهم شمم أنوفهم وعظمة عمائمهم من قبول الحق، فأعرضوا عن داعي الله وهم يعلمون. كل أحد منهم يُسحِت السُّنَّةَ ويبري، ويدعو البدعات ويقري، ويقول: انظروا زهدي وفقري، ولا يدرون شيئًا ويحسبون أنهم واصلون. وينظرون إلى الخلق، وإلى الله لا ينظرون. لا يرون غارات الرزايا على الإسلام، ويعكِفون على أهوائهم كعكوف المشركين على الأصنام ولا يبالون. عفت دار الدين وهم غافلون، وغاض در الإسلام وهم نائمون، وبار سعر الشرع وهم يستبشرون.

لا يدرون نار العشق وحرارة الذكر وقبس الفكر، غير التضحي واصطلاء الجمر، ويحبون أن يُحمَدوا بما لا يفعلون. يراءون أنهم نِضْو مجاهدات، وهم عاري المطا من لباس تقاة، ويذكرون تهجداتهم وهم للفرائض تاركون. لا نصيب لهم من كلام رب غفورٍ، ولا من خبرٍ مأثورٍ، وبأشعار الشعراء يتذاكرون. صبّت على الإسلام مصائب ونوازل وهم غافلون. لا يواسون مقدار ذرة وفي الشهوات هم مستغرقون. وإني أراهم كمازح بالشريعة الغراء، ومستهزئ بأحاديث إمام الورى. يؤثرون أبيات الشعراء على آيات كلام الله، وبها يفرحون ويرقصون، ويسمعون القرآن فلا يبكون ولا

يتضرعون. قوم خرجوا من طريق الاهتداء، وآثروا الظلمة على الضياء، يدبّون في الليلة الليلاء، كالناقة العشواء، ما لهم حافٌّ ولا رافٌّ، ويذهبون أين يشاءون.

ووالله إني أرى نفوسهم قد فسدت، وشابهت أرضًا خربةً، وبالحشائش الخبيثة ملئت، يزحَفون كزحف البهائم ولا يستقيمون. الإفراط عادتهم، والاعتساف سيرتهم، وآثار البراهمة الضالة مبلغ عرفانهم، وأشعار الشعراء وقود وجدهم وغذاء جنانهم. تركوا ربهم والتصقوا بالدنيا، وجعل الله على قلوبهم أكنّة فهم لا يفقهون. صنعوا لأنفسهم مآزر من أصحاب القبور، وأضاعوا بركات ذَرى الرب الغفور، ويفسقون ولا ينتهون. تركوا ملِكًا داخ البلاد، واتبعوا كل حقير لا يملك الزاد. وما ظلموا الله ولكن أنفسهم يظلمون. افتتنوا بإطراء المادحين، وأهلكهم إغضاء المسامحين، ولم يقتبسوا نورًا من القرآن، وفي وادي الشعراء يهيمون. يريدون غسل المريدين من أدناس الذنوب، وهم متلطخون بأنواع العيوب، ولا يعلمون. أيها الغِمْر الجاهل.. قُمْ أوّلا لغسل قلبك، ثم انهض لغسل أخيك بأيد مطهرة، ولا تقل للناس ما لا تفعل فيضحكون. وكيف تغسل بدن إخوانك وإن بدنك قد اتسخ، ودرنه قد رسخ، وأنت لا تنتهج مهجة الاهتداء فكيف هم ينتهجون؟

وإن كنتم في ريب مما أمرتُ به فتأهبوا للنضال، واستعِدّوا لإراءة آيات الكمال وصدق الحال، من الله ذي الجلال، وإنا نحن لإراءتها

مستعدون. اعلموا أن الولاية كلها في إجابات الدعاء، ولا معنى للولاية إلا القبولية في حضرة الكبرياء. فالمضمارَ المضمار، وإن تؤثروا الفرار، فأنتم كاذبون.

تعالوا يدخلكم الله في رياض الأمن، ولا تفرحوا بخَضراءِ الدِّمَنِ، وأنتم تعلمون. يدعوكم الله إلى الخير فما لكم لا تلبّون؟ ويوقظكم واعظٌ منكم فما لكم تتناعسون؟ ويجذبكم يد الغيب فلم.. يا قوم.. تتقاعسون؟ قد جاءكم أنباء الله فلم تتناسون؟ وقد جاء الحق وزهق الباطل وأنتم تمارون. وقد تجلت لكم الآيات وأنتم تعامون. ألا ترون أن الأرض قد زلزلت، وأن الفتن قد أحاطت، وأن القلوب قد ماتت، وكل داهية على الإسلام نزلت، وكل آفة اندلفت عليه وغلبت، واستيقظ الأعداء وأنتم تنامون؟

أرى البدعات في كل قولكم وفعلكم، وفي كل عمل تعملون، وفي الأجداث التي ترفعون، وفي ثيابكم التي تصبغون، وفي الأشعار التي تنشدون، وفي الوَخْد الذي تمشون، وفي القصص التي تقصّون بالفخر وتتكبرون، وفي لحيتكم التي تطيلون أو تحلقون، وفي طيوركم التي تصطادون. ما لكم لا تستعبرون على غفلتكم ولا تتندّمون؟ ما لكم لا تخافون الله ولا ترتاعون ولا تلتاعون؟ ونسيتم يومكم الذي فيه إلى الله ترجعون. وأرى الفساد في أعينكم التي إلى الدنيا تمدّون، وتحملقون حملقةَ البازي الُمطِلّ وعلى جيفتها تقعون، وفي لُسْنكم التي تُحِدّونها على الإخوان وتطيلون، وكالصّل

تُنَضْنِضُونَ ولا تكفّون، وفي آرائكم التي تُسقطون فيها ولا تصيبون. ولا تميّزون الفائق من المائق وتخلطون. وعلى بادرة الظــن تــسبّون وتغتابون. وبولايتكم تفتخرون، وعند الدعوة للمقابلة تولّون الدبر وتنهزمون، ثم لا تخجلون.. بل على فيوضكم تُساجلون. وإني أعلم أنكم جمادٌ محضٌ، ما دناكم روح الله وإنكم ميّتون. وإن كنتم على شيء فما منعكم أن تتجاولوا في الميدان وتتراســلوا، وفي المــضمار تتبارَوا وفي حلقة السوابق تتبارزوا، كما أنكم تدعون؟ فإن بارزتم.. فتجدون مَطْلَعي عليكم أسرعَ من ارتداد طَرْفكم إليكم، ويخــزيكم الله خزيًا مؤلــمًا وتُغْلَبون.

إني جئت لإعلاء كلمة الإسلام وأنتم تخالفون، وأريد أن أجدّد دين الله وأنتم تزاحمون. ألا ترون أن الإسلام عاد غريبًا، وورد عليه ما لم يره الرّاءون، ولا رواه الرّاوون؟ ما لكم لا تأخذكم الرجفة من هذا ولا تتألّمون؟ وما لكم لا تغيرون على هذا ولا تشتعلون؟ أأنتم رجال أم مخنّثون أيها الجاهلون؟ ألا ترون أن الفتن قد تعاظمت، وأن ظلماتها قد عمّت وأحاطت، وأن الأرض ألقت ما فيها وتخلّت، وأن البدعات قد ثرَّتْ وكثرت، وأن تعاليم القرآن قد رُفعت، والنفوس إلى الأرض أخلدت، وإلى الدنيا مالت، وتغطّت الآراء تحت البدعات وفي الأهواء أفرطت، وكل قوم أفسدت طريقها وضلّت، فما بقي بعد ذلك ما ينتظره المنتظرون؟

وإني.. والله.. من عنده، ودعوت الناس من أمره، فليختبر المختبرون. وإني أضع أمام العلماء والمشائخ لعنةً وبركة، فليأخذوا منهما ما شاءوا، وليميلوا إلى ما يميلون.

أما اللعنة فللذين يكذّبونني باتباع الظنّ، ويكفرونني رجمًا بالغيب، ولا يعلمون الحقيقة ولا يتدبّرون. ولا يطلبون منّي ما يشفي صدورهم ولا يحضرونني ليشاهدوا الآيات ولينجوا من الشبهات، كما يفعل المتقون. ألا إنهم هم الذين شقُوا في الدنيا والآخرة، وعليهم لعنة الله بما يكفرون المسلمين بغير علم وبما كانوا يظنّون ظنّ السوء وبما كانوا يستعجلون.

وأما البركة.. فللذين يسمعون كلامي، ويرون آياتي، ويظنّون بأنفسهم خيرًا، ويقبلون الحق ولا يستكبرون. فأولئك هم الذين سعدوا في الدنيا والآخرة، وقاموا لطلب الحق فهم يطلبون. لا يمشون مكبّين على وجوههم، ويسألون عند كل شبهة لينجوا منها، ولا يصرّون على الباطل ولا يغفلون. فعليهم صلوات الله ورحمته وبركاته وهم مرحومون.

يا أيها الناس.. اسألوني إن كنتم تشكّون. وادعوا لله تضرعًا وخفية، واستكشِفوا منه يكشف عليكم، ولا تقعدوا مع الذين يخوضون بشرّ من عند أنفسهم، ولا يتبعون سبيل الرشد، ولا يطلبون الحق وهم مستكبرون.

يا أيها الناس.. إن نزول المسيح كان أمرًا غيبيًا، فالله أبدى غيبه كيفما شاء، فلا تجادلوا في غيب الله، ولا تتعدوا حدودكم وأنتم تعلمون. وإن كنتم في شك مما قلت وادعيت لنفسي.. فاقصدوا قريبي، والبثوا أيامًا في صحبتي، يكشف الله عليكم ما في قربتي، ويحكُم فيما كنتم فيه تختلفون.

وإن استطعتم.. فتعالوا لإراءة آيات صدقكم ورؤية صدقي، وأجمِعوا عليّ خيلَكم ورَجِلَكم وإخوانكم المبتدعين، وأحياءَكم القبوريّين، وادعوا عليّ ولا تُمهِلون. فإن كانت لكم الغلبة فاذبحوني بأي سكّين تشاءون. واعلموا أن الله مخزيكم، ولا يؤيد إلا عبده، ولا يعلي إلا دينه، ويهلككم أيها المفسدون. إن الله لا يرضى لعباده الكفر والشرك والبدعة، وأعداؤه هم المذبوحون. إنه معي، وقد أخبرني من سرِّ نزول المسيح وعُمِّيَ عليكم، وكان هذا فتنة من الله، يخفي ما يشاء ويبدي، وكذلك سنته في أنباء الغيب، فويل للذين يحاجّون في غيوب الله، كأنهم كانوا عليها محيطين، وكانوا على كل خفاياها مطلعين، ولا يحذرون.

أيها الناس.. كل شجر يعرف بأثماره، فستعرفونني بأثماري، فلِمَ تشاجرون؟ وكُفُّوا ألسنتكم من الإكفار، وأيديكم من الإضرار، واتقوا سخط الله القهار، وادعوا الله كشف هذه الأسرار، فسوف تُخبَرون. إني أدعوكم إلى أمر فيه ثمرة خيركم وعلاج مَيرِكم، وهو أن يجاهد كل أحد منكم، ويسأل الله تعالى أن يريه رؤيا كاشفًا

لحقيقة الحال، أو يلهمه إلهامًا يليق للاستدلال، والله قادر على كل شيء، فيعطيكم إذ أنتم بكل قلبكم تسألون. فقوموا في أواخر الليالي وتوضّأوا، ثم صلُّوا ركعاتٍ وابكوا وتضرعوا، وصلوا على النبي الكريم وسلموا، ثم استغفروا لأنفسكم واستخبروا، وداوموا على هذا أربعين يومًا ولا تسأموا، فستجدون من الله أمرًا يقودكم إلى الحق، وتنجَّون من الشبهات، كما ينجى الصالحون. فما لكم لا تقتدون سنن الصلحاء، ولا تنتهجون مهجّة الأتقياء، وتحبّون أن تفسّقوا وتكفروا إخوانكم بغير علم، فتؤخذون عند الله وتحاسَبون؟ أتحسبون الإكفار هيّنًا، وهو عند الله عظيم، ما لكم لا تتقون الله ولا تتفكرون؟

يا أيها الناس.. توبوا توبوا، قبل أن تغلق أبواب التوبة وأنتم تنظرون. يا أيها الناس.. اجتنبوا مجالس قومٍ متصوفةٍ يقولون: إنا نحن لجِشْتيّون، وإنا نحن لقادريّون. يأتونكم في جلود النعاج وهم ذياب مفترسون. تروهم أذنًا للأغاريدِ، والمعرضين عن سنن النبي الوحيد، وأكثرهم فاسقون. قرِموا لِقينات غَيداءَ، ودَعُّوا الشريعة الغراء، وخلعوا رَسَنَهم واتبعُوا الأهواء، فهم عليها منتكسون. ما لهم من علم من معارف القرآن، وما مسّت قريحتهم دقائق الفرقان، ويحسبون أنهم إلى قصوى المطالب فائزون. وإذا قيل لهم: اتبعوا داعي الله.. قالوا: لا نعلم ما الداعي، وإنا نحن الراشدون المرشدون. وإذا دُعوا إلى الله وسنن رسوله ﷺ لَوَّوا رؤوسهم استكبارًا، واتخذوا

نُذُرَ الله هُزْءةً وبهم يستهزئون. ويقولون إن المحدثيّة وشرف مكالمات الله وشرف رسالته ليس بشيء، ولو شئنا لجعلنا أدنى مريدينا بالغ هذا المقام، ولكنّا لِمثل هذه الأمور كارهون. ختم الله على قلوبهم، فهم لا ينظرون إلى الحق ولا يقصدونه ولا يَـــيجِلون، ويحتقرون الذي أرسله الله إلى عباده، ويقولون: قد أنبأنا الله: إنه كافر كذّاب، ويصرّون على قولهم وهم يكذبون. ويقولون: إن البركات كلّها منوطة بالبيعة، وما لهذا الرجل شرف بيعة شيخ من المشايخ. وما بيعتهم إلا كصفقة المغبون، وإنْ قولهم إلا كذبٌ نَحَتَه الصوّاغون.

يا حسرةً عليهم! ألا يعلمون أن المسيح ينـــزل من السماء بجميع علومه، ولا يأخذ شيئا من الأرض، ما لهم لا يشعرون؟ ألا يعلمون أن الذين يُرْسَلون من لدن ربهم لا يحتاجون إلى بيعة أحد، وهم من ربهم يتعلّمون، وكل علم منه يأخذون.. به يبصرون، وبه يسمعون، وبه ينطقون؟ يسكن فيهم رُوح الله، فهم بروحه يتكلّمون، وبه ينوِّرون كُلَّ مَن سلِم نظمُ فطرته، وبه يفيضون. وبه يُطلعون على كنوز العلم، ويقيمون حجّة الله على كل من لجّ بإنكار الحق وجحوده، ومن الله يُنصرون. يُودِع الله صدورهم معارف القرآن، ويُظهرهم على نوادر وقائع الزمان، ويعطيهم شيئًا ما لا يعطى غيرهم، وهم من غيرهم يميَّزون. ويهب لهم مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدهم، وهم بعناياته يخصصون. وأنى لكم هذا الفضل أيها المتمردون المكذبون؟ وإن كان في بيعتكم وبيعة مشايخكم أثر..

فأرُوني فيها هذا الأثر أيها الكاذبون. وإن كان في صحبتكم وصحبتهم فيض.. فما لي لا أرى ذلك الفيض.. أأنتم تثبتون؟ قد هلكتم وأهلكتم جِبِلا كثيرًا أيها المفترون. ما لكم.. ما نفع الناس بيعتكم، وما أنتم منه منتفعون؟ وما مجلسكم إلا حلقة ملتحمة، ونظّارة مزدحمة، وما يُقرأ القرآن في مجالسكم، بل بالأشعار تتلاعبون. والذين يبايعونكم ما أرى فيهم حُب الله وحُب رسوله لما لا أراهم متناهين من الفسق والمعصية، بل إلى المعاصي يسعون ويسارعون. ويركَنون من الله إلى غير ركين، ويعبدون القبور ويستعصمون بغير مكين، وينتكسون على جيفة الدنيا، فهم مالئون منها البطون. يكلَفون بها لغباوتهم، ويكلَبون عليها لشقاوتهم، وهم فيها يعتدون. لا يعلمون من القرآن دقيقة، ولا يقرؤونه، ولا يتزودون للآخرة شيئًا، ولم يزالوا لدنياهم يعانون.

يا أيها الناس! توبوا توبوا، فإن الأيام قد كملت، وساعة الله قد اقتربت. فطوبى لعين أمعنت ورأت، وطوبى لأذن أصغت وسمعت، وطوبى لقدم إلى الحق نهضت وسارعت، وطوبى لقوم هم يقبلون الحق ولا يعرضون.

أيها المسلمون.. جعلكم الله مسلمين.. اعلموا أني من الله، وكفى بالله شهيدًا، واعلموا أنه ينصرني، ويؤيدني، ويعلمني، ويلهمني، وأعطاني من معارف لا يعلمها أحد إلا بتعليمه، فما لكم لا تقبلون ولا تمتحنون؟

أيها الناس.. ادنوا مني ولا تتحولوا، وافتحوا أعينكم ولا تغضّوا، وادخلوا في أمان الله ولا تبعدوا، وتَطهّروا عن الحقد والشَّنَآن ولا تلطّخوا، وتَجلّدوا إلى التوبة ولا تستأخروا، ولا تُفرِطوا في سوء الظن واتقوا واجتنبوا، واستعينوا بالصبر والصلاة وجاهدوا، ولا تعجَلوا ألا لا تعجَلوا، وادعوا الله متضرعين، واطرحوا بين يدي ربكم، واسألوه حقيقتي وحقيقة أمري بكل قلبكم، وبكل توجهكم، وبكل عزيمتكم، وبصدق همتكم، يكشف الأمر عليكم وتُجابوا.

ارفقوا أيها الناس.. ارفقوا، ولا تَغلُوا في سبّكم ولا تعتدوا، واتقوا إنكار عجائب الله التي أُخْفيت من أعينكم ولا تجأروا، وارحموا على أنفسكم ولا تظلموا، أيها المستعجلون.

يا مشائخ الهند، إن كنتم تحسبون أنفسكم شيئا فما لكم لا تبارزونني ولا تقاومون؟ وإني أراكم في غلوائكم سادرين، وسادلين ثوب الخيلاء ومعجبين، وأهلككم المادحون المطرئون. تعالوا ندع الرب الجليل، ونتحامى القال والقيل، ونطلب من الله البرهان والدليل، ونسأل الله أن يفتح بيننا وبينكم ليتبين الحق ويهلك الهالكون. وإني.. والله.. أتيقن فيكم أنكم الثعالب وتستأسدون، وبُغْثانٌ وتستنسرون، وكذلكم في أمري تظنون. فتعالوا نجعل الله حَكَمًا بيننا وبينكم، ليكرم الله الصادقين ويخسر المبطلون. فإن كان

لكم نصيب من نعمتي التي أنعم الله عليّ.. فبارزوا على ندائي، وواجهوا تلقائي، وابتدروا ولا تُمهِلون.

ووالله.. ما أرى فيكم نفسًا من الصلحاء.. إلا كالشعرة البيضاء في اللِّمّة السوداء.. وأراكم أنكم أضللتم عباد الله، وعقرتم ناقة الإسلام وتعقِرون. وقد أرسلني ربي لأعرّفكم طرقا تسلكونها، وأعمالا تعملونها، وأخلاقًا تتهذبون بها، فأجيبوني: أتقبلون دعوتي أو تردون؟ ما لكم لا تنظرون إلى الإسلام ومصائبها، وإلى آفات جديدة وغرائبها، ولا تواسون أيها الغافلون؟ هذا وقت جمع ضلالةَ كل تَنوفة، وسلالةَ كل مَخوفة، وأتى الزمان بعجائبِ فتنٍ وعلومٍ أُطروفةٍ، يُعرَف فيها علامات الوقاح كامرأة مطروقة يقبلها الأحداث ويستملحون.

أيها الناس.. جئتكم في وقت كادت الشمس تغرب فيه وتجِب، وضياء الإسلام يستتر ويحتجب. فما لكم لا ترون الأوقات، وما تقبلون النور الذي نزل في وقته، وفي أنباء الرسول تشكون؟ ما لكم قد جمدتم وناقتكم قعَدت وأرنفت بأذنيها، ونفسكم لغِبت وسقطت على ساقيها، وما بقي لكم حس ولا حركة ولا أنتم تتنفسون؟ أأنتم نائمون أو ميتون؟ ما لكم لا تسمعون ولا تجيبون؟ أتحبون الحياة الدنيا ولا تذكرون موت آبائكم ولا تخافون؟ يا حسرة على شُفوفكم في الدّين، وتشوّفِكم أجسامَكم بالتسمين، وخُلوِّكم من مواساة الإسلام والعلم واليقين ومما تدّعون. ألا ترون ريحًا مطوِّحة

عن طرق الصواب، وفتنًا مبرحة لأولي الألباب؟ ألا ترون رأس المائة التي كنتم تنتظرونها؟ ألا ترون أظلال الظلام، واقتحام جيش الليام، فلم لا تستيقظون؟ ألا ترون أن الإسلام صار كاليتيم المَزْءود، وهم المسلمين كالنِّضْو المجهود، وخوف الله كالمتاع المفقود، وعلم القرآن كالحي الموءود؟ ترونه، ثم تتجاهلون؟!

أيها الناس! امتحِضوا حَزْمَكم في الأفكار، وديانتكم في الأنظار، ولا تحيدوا من الله البار، ولا تردّوا نعمة الله التي جاءت في وقتها، ولا تولوا وأنتم معرضون. وإن تسمعوا قولي، وتلتفتوا إلى مواعظي، وإلى الوصايا التي أنا موصيكم اليوم، فالله يرضى عنكم، ويثمركم ويكثركم، وينـــزل بركاته عليكم، ويجعل بركة في أولادكم وذرياتكم، وزروعكم وتجاراتكم، وعماراتكم وإماراتكم، ويحييكم حياة طيبة، فتدخلون في أمان الله وتحت ظله تعيشون. وإن لم تنتهوا من شروركم، ولم تضعوا حُكم الله على نحوركم، فتؤخذون بذنوبكم، وتأكلكم نار عيوبكم، ويجعلكم الله قصصًا للآخرين، وعبرة للناظرين، ويذرّيكم ويزعجكم، فتبقى طلولكم وأنتم تفنون. ويجرّد الله وراءكم سيفه، ويسلط عليكم من يؤذيكم، ويضرب عليكم الذلة، ومن كل مقام تُطردون.

إن الله يريد أن يؤيد دينه، وينصر عبده. أفهذا إسلامكم.. أنكم على خلافه واقفون؟ أتستطيعون إزعاج شجرة غرسها الرب الكريم؟ أبالله تحاربون؟ رَبّ.. ما أرعبَ إقدامَك! إذا نزلتَ لنصرة قوم فهم

الغالبون. رَبّ.. ما أقطعَ حسامَك! إذا جردته على حزبٍ فهم المقطوعون. إن الله تجلى بألبسة جديدة، فقوموا له أيها الغافلون. وإن تغافلتم وأعرضتم فسوف تذكرون وتتندمون. انظروا إلى أقوام قبلكم، عصوا الله.. فضربهم على سيماهم، وأخذهم بالبأساء والضراء، وأبادهم بالآفات وأنواع البلاء، وما أنتم خير منهم، وما ضعف الله وما لغِب وما استكان، فما لكم لا تتقون جلال الله ولا ترتعدون؟

وما قلنا فيكم إلا شيئًا قليلا، وسدلنا على كثير من مخازيكم، وآثرنا التغاضي على الملام، لعلكم تشكرون في أنفسكم وتتوبون.

إلى مشايخ العرب وصلحائهم

السلام عليكم، أيّها الأتقياءُ الأصفياء، من العَرب العُرَباء. السلام عليكم، يا أهلَ أرض النبوّة وجيرانَ بيتِ الله العظمى. أنتم خير أُمم الإسلام وخير حزب الله الأعلى. ما كان لقومٍ أن يبلغ شأنكم. قد زِدتم شرفًا ومجدًا ومَنْزلا. وكافيكم من فخر أن الله افتتح وحيه من آدم وختم على نبي كان منكم ومن أرضكم وَطنًا ومأوًى ومولدا. وما أدراكم مَنْ ذلك النبي! محمد المصطفى، سيّد الأصفياء وفخر الأنبياء، وخاتَم الرّسل وإمام الورى. قد ثبت إحسانه على كُلِّ من دَبّ على رِجْلين ومشى. وقد أدرك وحيُه كُلَّ فائتٍ من رموزٍ ومعانٍ ونِكاتٍ عُلَى. وأحيا دينُه كلّ ما كان ميّتًا مِن معارف الحقّ وسنن الهدى. اللّهم فصَلِّ وسلّم وبارِكْ عليه بعدد كل ما في الأرض من القطرات والذرات والأحياء والأموات، وبعددِ كلّ ما في السماواتِ، وبعدد كل ما ظهر واختفى، وبلِّغْه منا سلامًا يملأ أرجاءِ السماء. طوبى لقومٍ يحمل نِيرَ محمدٍ ﷺ على رَقبته، وطوبى لقلب أفضى إليه وخالطه وفي حُبّه فنى.

يا سُكّانَ أرض أَوطأته قدمُ المصطفى.. رحمكم الله ورضي عنكم وأرضى.. إن ظني فيكم جليل، وفي روحي للقائكم غليل، يا عباد

الله. وإني أحِنّ إلى عِيان بلادكم، وبركاتِ سوادكم، لأزور موطئ أقدام خير الورى، وأجعل كُحْلَ عيني تلك الثرى، ولأزور صلاحها وصلحاءها، ومعالمها وعلماءها، وتقرّ عيني برؤية أوليائها، ومشاهدها الكُبرى. فأسأل الله تعالى أن يرزقني رؤية ثراكم، ويسّرني بمرآكم، بعنايته العظمى.

يا إخوان.. إني أحبّكم، وأُحبّ بلادكم، وأحب رمل طرقكم وأحجار سكككم، وأوثركم على كل ما في الدنيا.

يا أكباد العرب.. قد خصّكم الله ببركاتٍ أثيرة، ومزايا كثيرة، ومراحمه الكُبرى. فيكم بيت الله التي بورك بها أُمّ القُرى، وفيكم روضة النبي المبارك الذي أشاع التوحيد في أقطار العالم وأظهر جلال الله وجلَّى. وكان منكم قوم نصروا الله ورسوله بكل القلب، وبكُلّ الروح، وبكُلّ النُهى. وبذلوا أموالهم وأنفسهم لإشاعة دين الله وكتابه الأزكى. فأنتم المخصوصون بتلك الفضائل، ومن لم يكرمكم فقد جار واعتدى.

يا إخوانِ.. إني أكتب إليكم مكتوبي هذا بكبدٍ مرضوضةٍ، ودموع مفضوضةٍ، فاسمعوا قولي، جزاكم الله خير الجزاء.

إني امرؤٌ ربّاني الله برحمة من عنده، وأنعم علي بإنعامٍ تامٍ، وما ألَتَني من شيء، وجعلني من المكلَّمين الملهَمين. وعلّمني من لدنه عِلْما، وهداني مسالك مرضاتِه، وسِلكَ تُقاته، وكشف عليّ أسراره

العُليا. فطورًا أَيّدني بالمكالمات التي لا غبار عليها ولا شبهة فيها ولا خفاء، وتارةً نَوّرني بنور الكشوف التي تشبه الضحى.

ومن أعظم المنن أنه جعلني لهذا العصر ولهذا الزمانِ إمامًا وخليفةً، وبعثني على رأس هذه المائةِ مجدّدا، لأخرج الناس إلى النــور مــن الدُّجى، وأنقُلهم من طرق الغَيّ والفــساد إلى صــراط التقــوى. وأعطاني ما يَشْــفي النفوس، وينفي اللَّبْسَ المحسوس، ويكشف عن الخَلق الغُمّى.

إنه وجد هذا العصر أسيرًا في مشكلات ومخنوقًا من معــضلاتٍ، وهالكًا تحت بدعات، وسَيّئات وظلمات، فأراد أن ينجّي أهله مــن تلك الآفات وأنواع البلاء. وإنه رأى فــساد قسِّيــسين وفلاســفةِ النصارى قد بلغ من العمارات إلى الفلواتِ، ومن النيّات إلى عمــل السيّئات، ومن سطح الأرضين إلى الجبال الــشامخات، ورأى أهنــم عتَوا عتوًّا كبيرًا، وبَلّغوا أمرهم في غلوّهم إلى الانتهاء. ورأى الرب المجيد أنه ابتُلي كثيرٌ من الخلق بدقائق فتنهم، ولطــائف ذكــائهم، وغرابة دهائهم، وسحرِ علومهم، وطلــسم فنــوهنم، وخديعتــهم العظمى. ورأى أهنم ينهبون دين الناسِ وإيماهنم، ويسحرون قلــوب الناس وأبصارهم وآذاهنم، ويَفلُون المعالم والمجاهل لإضلال الــورى، ويُرُون بسحرهم الظُلمةَ كالسنا، وخرج بتحريكاهتم قوم من الهنود يسمون أنفسهم "آريا"، ويقولون لا نؤمن بكتابٍ إلا بوَيْدِنا، الذي

أُنزل في ابتداء الدنيا. وما في ويدهم إلا تعليمُ عبادة الشمس والقمر والنجوم والنار والماء والهواء، وإنْ كانت نساؤهم لم يلدن لهم أبناءً فيأمرهم وَيْدُهم أن يؤذنوا أزواجهم لارتكــاب الزنــا، ويَــذْرَؤُوا لأنفسهم أولادًا من هذا الطريق، وداوموا لنجاهم على هذا العمــلِ أبدا. ويسمى هذا العمل بلساهم بــ"نيــوك"، ويحــسبونه عمــلا مقدّسا. فهذه شريعتهم وأحكام كتاهم، ومع ذلك يُعضِلون قومَهم أن يُسْلِموا، ويسبّون خير البرية شرًّا وخُبثا. ويصرّون على الــسبّ والشتم والتوهين، ويؤلّفون في رد الإسلام كُتبا، ومــا ردّهــم إلا مجموعة الافتراء. وهذه المفاسد كلها قد حدثت مــن قسّيــسين، وزُلزلت الأرضُ زلزالا شديدا، فالله خيرٌ حافظًا وخير مَأْزِرا.

ومن الآية المباركة العظيمةِ أنه إذا وجد فساد المتنصّرين ورآهــم أهم يصدّون عن الدين صُدودا، ورأى أهــم يــؤذون رســول الله ويحتقرونه، ويُطرون ابن مريم إطراءً كبيرًا، فاشتد غضبه غيرةً مــن عنده، وناداني وقال: (**إني جاعلك عيسى ابن مريم**)، وكان الله على كل شيء مُقْتدرا. **فأنا غَيْرةُ الله** التي فارت في وقتها، لكــي يعلــم الذين غَلَوا في عيسى أن عيسى ما تفرّد كتفرّد الله، وأن الله قــادر على أن يجعل عيسى واحدًا من أُمة نبيه، وكان هذا وعدًا مفعولا.

يا إخوان.. هذا هو الأمر الذي أخفاه الله من أعين القرون الأولى، وجلى تفاصيله في وقتنا هذا، يخفي ما يشاء ويبدي، وقد خلت مثله فيما مضى.

وفي اختيار هذا الطور الأخفى مصلحتان عظيمتان رآهما الله لعباده أنسبَ وأَولى. أما الأُولى فهي أن هذا النبأ كان من أنباء غيبية، وكان زمان ظهوره بعيدًا جدا، وكان الله يعلم أنه لا يظهره إلا بعد انقضاء أزمنة طويلة، وعصور مديدة، وارتحال كثير من الأمم من هذه الدنيا، وكان يعلم أنه لا فائدة للأولين في تصريح هذا النبأ المجمل وتفاصيله العظمى، وكان يعلم أنهم يموتون كلهم قبل ظهور ذلك النبأ وما يجديهم تفاصيله نفعا. فأراد أن يعطيهم ثواب الإيمان بعوض ما فات منهم ويهب لهم بعد إيمانهم أجرا حسنا. فترك تفاصيل هذا النبأ في وحيه واختار إجمالا لطيفا مبهَما كالمعمَّى. وجعل هذا الإجمال متحليا بالاستعارات، ومصبوغا من المجازات والكنايات، وأبعدَ من الأفهام والدرايات والقياسات، ليبلوهم أيهم يتبع أمرا. فآمنوا فرضي الله عنهم وجزاهم خير الجزاء، لأنهم أحسنوا الظن في الله ورسوله، وآمنوا بما لم يعرفوا حقيقته ولم يدركوا ماهيته أصلا.

وأما الثانية.. فإنه أراد - جل اسمه - ليبتلي الآخرين كما ابتلى الأولين، ليغفر لهم ذنوبهم ويهيّئ لهم عند إيمانهم رشدا. وكانوا

يعملون السيّئات من قبل وأضاعوا فيها قرونا وحُقُبا. وغلبت عليهم الشهوات حتى لم يملكوا أنفسهم، وحصدوا زروعها في الأهــواء، وشابهوا صعيدًا جُرُزا. فأظهر الله ذلك النبأ المجمل المستور خــلاف زعمهم ليبتليهم به رشدا وعلما وفهما، وليعطي المؤمنين كِفْلَين من رحمته ويجعل لهم لرضائه سببا. وكان هذا كله ابتلاءً من عنده ليميز المؤمنين المخلصين من غيرهم، ويتوب عليهم فضلا ورحما، وليُخزي عقول الذين استكبروا في أنفسهم واتخذوا عبد الله وتبليغه سُــخْرة وهُزُوا. وكذلك أمر الله، إذا شاء ابتلاءَ قوم مذنب.. فربما يلــبس عليهم نبأً موعودًا، ويقلب عقولهم وأفهامهم، فلا يفهمون سرَّ وعد الله ولا موعدا، ليذيقهم سوء ما عملوا من قبل ويجعلهم من الــذين عادَوا عبدًا صادقا، وزادوا حَيفًا وشَطَطا. فينكّر تأويــل النبــأ في أعينهم فيحسبونه شيئًا فَرِيًّا مختلَقا. وما يحلّقون إلى حيث يحلّــق ذو النهى، ولا يرون الإشاراتِ المطويّة في ذلك النبــأ الأخفــى، ولا يخافون فتنة الله التي تصيب المجرمين خاصّة ويجــادلون كــالأعمى. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون بنوعٍ مــن الابتلاء؟ وقد خلت سنن الله في مثل ذلك، وفيها عبرة لكل قلــب يخاف ويخشى.

فاعتبروا يا أولي الأبصار.. واسألوا أهل الذكر إن كــان الأمــر عليكم مشتبها. أعجِبتم أن أتتكم سنة الأولين قــبلا؟ أعجبــتم أن

أرسل الله إليكم حكما كاشفا لسر هذا النبأ، فنضا الحكم عن وجه النبأ سترا؟ أهذا في أعينكم أمر منكر، ونسيتم ما قيل لكم إن المسيح يأتي إليكم **حَكَمًا عَدْلاً**؟ فما لكم لا تقبلون قول حَكَمكم.. أتنسون ما قال النبي ﷺ وأوصى؟ وإن تحسبون أنكم على صدق وحق.. فلولا تأتون عليه بنظير من قبل.. وقد قال الله إن لسننه نظائر في الأمم الأولى. أتعرفون بشرا رفع إلى السماء ثم نزل بعد قرون كما تظنون في عيسى؟ ووالله إن هذا خارج من سنن الله ولن تجدوا من مثله في كتب الله أثرا. وقد قرأتم في الصحاح أن المسيح لحق بميتين من إخوانه، واتخذ مقامًا عند أخيه يحيى. وقد وعد الله للذين تُوُفّوا مسلمين أنهم لا يُردّون إلى الدنيا، ويمكثون في دار السعادة أبدا. وقال النبي ﷺ إني أُخبرت أني أعيش نصف ما عاش عيسى، وفي ذلك دليل على وفاة المسيح لمن كان له قلب أو يمعن النظر وهو يرى. فليحكم أهل الحديث بما جاء من النبي ﷺ في الصحاح، ولا يجادلوا بأحاديث نزوله قبل أن يثبتوا صعوده بجسمه إلى السماوات العلى. ولو شاء الله لفتح آذانهم، وبصّر أعينهم، وفهّم قلوبهم، ولكن ليبلوهم فيما آتاهم، وليخزي الله من أراد خزيه في الدنيا والعقبى. ولو أن أهل الحديث آمنوا واتقوا لكفّر الله عنهم سيئاتهم وكتبهم في الصادقين، ولكن بخلوا واستعجلوا، واختاروا لأنفسهم عوجا، واتبعوا أقدام السفهاء الذين خلوا من قبل، ونسوا

كل ما ذُكّروا به، وطلبوا لِدنياهم مرفقا. فلا يضرون الله شيئا من مكائدهم، وإن كانوا ليزيلوا من كيدهم جبلا. ولا تحسَبُنّهم بمفازة مِن أخذ الله، ولا تحسبوا عداوة الحق أمرا هينا. والله يتم وعده وينصر عبده، فإن جنحوا للسلم فهو خير لهم، وإن عتَوا فسيريهم الله ذلا وخزيا.

وقد أتممت عليهم حجتي، وقرأت عليهم براهين صدقي، فما نظروا من الإنصاف نظرا. ألا يرون أن الله أخبر من وفاة المسيح في مقامات شتى؟ والقرآن كله مملوّ من ذلك، ولا تجد فيه لإثبات حياته حرفا أو لفظا. وهناك قول المسيح في القرآن: ﴿وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلمَّا توفَّيتَني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم﴾.[1] فانظر كيف يثبت من ههنا أن المسيح توفي وخلا. ولو كان نزول المسيح ومجيئه مقدرًا ثانيا لذكر المسيح في قوله شهادتين ولقال مع قوله: كنت عليهم شهيدًا وأكون عليهم شهيدا مرة أخرى.. وما حصر في الشهادة الأولى. وقال الله تعالى: ﴿فيها تحيون﴾،[2] فخصص حياة الناس بالأرض كما خصص موتهم بالثرى. أتتركون كلام الله وشهادة نبيه وتتبعون أقوالا أخر؟ بئس للظالمين بدلا!

[1] سورة المائدة: ١١٨

[2] سورة الأعراف: ٢٦

أيها الناس.. قد أعثرني الله على هذا السر وعلّمني ما لم تعلموا، وأرسلني إليكم حكما عدلا، لأكشف عليكم ما كان عليكم مستترا. فلا تماروا ولا تجادلوا، وتدبروا في قوله: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾، واقرؤوا هذه الآية إلى قوله: ﴿يوم القيامة﴾ ثم أَمعِنوا النظر يا أولي النهى! وانظروا كيف افتتح الله من وفاة المسيح، وذكر كل واقعة بترتيب طبعي تتعلق بعيسى، حتى اختتمها على يوم القيامة، ولم يذكر من نزول المسيح في هذه السلسلة شيئًا، وما أحدث في هذا الأمر ذكرا. وما كان نزوله عند الله إلا نزول إراداته وتوجهاته على المظهر الذي قام مقامه وقرب به استعدادًا ودنا. فلَوّنه بلونه، وصَبّغه بصبغه، حتى صار المظهر مستغرقًا مغمورًا في معنى الاتّحاد، وشابه عينَ أصلِه في القُوى، وتقاربت مداركه بمداركه، وأخلاقه بأخلاقه، وجوهره بجوهره، وطبيعته بطبيعته، حتى صارا كشيءٍ واحد، وكان اسمهما واحدًا في الملأ الأعلى.

وإن اشتقتَ أن تكتنه حقيقةَ هذا السرّ، وتطلّع على أسبابه على وجهٍ أظهرَ وأَجْلَى، فأَصْغِ أبيّن لك ما علّمني ربي في هذا الأمر من أسرار الهدى. وهي أن الله وجد في هذا الزمان غلبة المتنصّرين وضلالاتهم إلى الانتهاء، ورأى أنهم ضلّوا وأَضلّوا خَلقًا كثيرًا، ونَجّسوا الأرضَ بشركهم وكفرهم، وأكثروا فيها الفسادَ، وأشاعوا في الناس كذبهم، وفريتهم وتلبيساتهم، وفتحوا أبواب المعاصي

والهوى. ففارت غيرة الله تعالى عند رؤية هذه الفتنةِ العُظمى. فأنبـأ الرَّبّ الغيور كَلِمتَه ونبيَّه مِن فتن أُمّته ومما أفسدوا في الأرض ومما يصنعون صُنْعا. وكان هذا الإخبار من سنن الله ولن تجد لسنن الله تَحوّلا ولا تبديلا. ولما سمع المسيح أن أُمته أهلكَتْ أهل الأرض وأرادت أن يستفزّهم جميعًا، وبَغتْ أمام ربّها بغيًا كبيرا، فكثر كربه وقلقه حسرةً على أُمّته، وأخذه حزن ووَجدٌ كمثل الذي يهمّه إغاثة الملهوفين أو يجب عليه إعانة المظلومين، واستدعى من الله نائبا، وقضى أن يكون نائبه متحدًا بحقيقته ومتشابهًا بجوهره، ومقيمًا في مقام جوارحه لإتمام مراداته، ومظهرًا لظهور إراداته، فصرف لهذه المُنْية عِنان التوجه إلى الثرى. فاقتضى تدبير الحق أن يهب له نائبًا تنطبع فيه صورتُه المثاليةُ كما تنطبع في الحياض صُور النجوم من السماوات العُلى. فأنا النائب الذي أرسلني الله في زمان غلبة التنصّرِ غيرةً من عنده، وإراحةً لروح المسيحِ، ورأفةً بعامة خَلقه، وترحّمًا على حال الورى. فجئت من الله لأكسر الصليب الذي أُعلِيَ شأنُه، وأقتل الخنزير فلا يُحيا بعده أبدا. واختارني ربي لميقاته، إن ربي لا يُخلف ميعاده ولا ينقض عهدا. وقد كان وعده إرسالَ المسيح عند تطاول فتنة الصليب وغلبة الضلالات العيسائيةِ، وإن كنتم في شك مما قلنا فتدبّروا في قول نبيه.. أعني قوله: "يكسر الصليب"، يا أرباب النُهى. وافتحوا أعينكم وانظروا نظرًا غامضًا إلى زمانكم وإلى قومٍ

جاءوا بفتن عظيمة، ثم اشـــهدوا لله.. هل أتى وقت قدومِ كاســـر الصليب أو ما أتى؟

والله، إني قد أُرسِلتُ من ربي، ونُفِـــث في روعـــي مـــن روع المسيح، وجُعلتُ وعاءً لإراداته وتوجهاته، حتى امـــتلأت نفـــسي ونسمتي بها، وانخرطتُ في سلك وجوده، حتى تراءى شَبَحُ رُوحِه في نفسي، وأُشْرِبتُ في قلبي وجودَه، وبرِق منه بارقٌ فتلقّتْه روحي أتم تلقٍّ، ولصقت بوجوده أشدَّ مما يُخيل، كأني هو، وغِبت مـــن نفسي، وظهر المسيح في مرآتي وتجلّى، حتى تخيّلتُ أن قلبي وكبدي وعروقي وأوتاري ممتلئة من وجوده، ووجودي هذا قطعـــة مـــن جوهر وجوده، وكان هذا فعل ربي تبارك وتعالى. وكان هـــو في أوّل أمري قريبًا مني كالبحر من القاربِ، ثم دنا فتدلى، فكان مني بمنـــزلة الماء في القربة، وتموج في جسدي روحه، فصرتُ كشيء لا يُرَى. ووجدته كقَنْدٍ اختلط بماءٍ لا يتميز أحدهما من الآخـــر، وأدركتُ بحاسة روحي أنه اتّحد بوجودي، وصـــرت في نفـــسه ملتفّا، وصرنا كشيء واحدٍ، يقع عليه اسم واحدٍ، وغابت طيـــنتي في طينته العُليا. هذا ما عُلّمنا من رَبِّنا، فاقضِ ما أنت قاض، واتق الله، ولا تُخلِد إلى أهواء الدنيا.

وأما الكلام الـــكُلّي في هذا المقام، فهو أن للأنبياء الذين ارتحلوا إلى حظيرة القُدس تدلّياتٍ إلى الأرض في كل بُرهةٍ من أزمنةٍ يُهـــيج

الله تقاريبها فيها، فإذا جاء وقت التدلّي صرف الله أعينهم إلى الدنيا، فيجدون فيها فسادًا وظلمًا، ويرون الأرض قد مُلئت شرًّا وزورًا، وشركا وكفرًا، فإذا ظهر لأحد منهم أن تلك الشرور والمفاسد من بغي أمّته، فيضطر روحه اضطرارًا شديدًا، ويدعو الله أن يُنزله على الأرض ليهيئ لهم من وعظه رشدا. فيخلق له الله نائبا يشابهه في جوهره، وينزل روحه بتنزيل انعكاسي على وجود ذلك النائب، ويرث النائب اسمه وعلمه، فيعمل على وفق إراداته عملا. فهذا هو المراد من نزول إيليا في كتب الأوّلين، ونزول عيسى عليه السلام، وظهور نبينا محمد ﷺ في المهدي خُلقًا وسيرة. وما من محدَّث إلا له نصيبٌ من تدلّيات الأنبياء، قليلا كان أو كثيرًا. ومن تجرَّدَ عن وسخ التعصّبات فلا يتردّد في هذا، ويجد السّنة والكتاب مبيّنَينِ لها.

أيها الأعزةُ.. إن حضرة الله تعالى حضرةٌ عجيبةٌ، وفي أفعال الله أسرارٌ غريبةٌ، لا يبلغ فهم الإنسان إلى دقائقها أصلا. فمن تلك الأسرار تمثُّل الملائكة والجنِّ، ومنها حقيقة نزول المسيح التي دقّ فهمُها وعسُر اكتناهُها على أكثر الناس، فلا يفهمون الحقيقة، ولا أرى في فطرهم إلا غضبا. والأصل الكاشف في ذلك كلام الله تعالى، فانظروا إلى القرآن الكريم كيف يبيّن معنى النزول في آياته

العظمى. وتدبروا في قوله تعالى: ﴿وأنزلْنا الحديد﴾[1]، وفي قوله عز اسمه: ﴿قد أنزلْنا عليكم لباسًا﴾،[2] وفي قوله جل شأنه: ﴿وأنزلَ لكم من الأنعام﴾،[3] وفي قوله جلت قدرته: ﴿وما ننـزّله إلا بقدرٍ معلوم﴾،[4] وفي أقواله الأخرى. وأنتم تعلمون أن هذه الأشياء لا تنـزل من السماء بل تحدث وتتولّد في الأرض وفي طبقات الثرى. وإن أمعنتم النظر في كتاب الله تعالى فيكشف عليكم أن حقيقة نزول المسيح من هذه الأقسام الذي ذكرناه ههنا، فتدبروا في قولنا وأمعنوا نظرا. وما ينبغي أن يكون اختلاف في كلام الله تعالى، ولن تجدوا في معارفه تناقضا.

والقول الجامع المهيمن الذي يهدي إلى الحق، ويحكم بيننا وبين قومنا آيةٌ جليلة من سورة "الطارق" تُذكّر سِرًّا غفلوا منه أهلُ الهوى.. أعني قوله تعالى: ﴿والسماءِ ذات الرجع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل إنهم يكيدون كيدًا وأكيد كيدًا﴾[5]. فاعلموا أيها الأعزّة أن هذه الآية بحر مَوّاجٌ من تلك الأسرار، ما أحاطتها فكر من الأفكار، وما مسّتها مُدرِكةُ الورى. وفَهّمني ربي أسرار هذه الآية واختصّني بها، وتفصيله أن الله تعالى أشار في هذه الآية إلى أن السماء مجموعة مؤثرات والأرض مجموعةُ

---

[1] *سورة الحديد:٢٦* [2] *سورة الأعراف:٢٧* [3] *سورة الزمر:٧* [4] *سورة الحجر:٢٢*
[5] *سورة الطارق: ١٢ - ١٧*

متأثرات، وينــزل الأمرُ من الــسماء إلى الأرض، فتلقَّتْــه الأرضُ بالقبول ولا تأبى. وفي هذا إشارةٌ إلى أن كل ما في الــسماء مــن الشمس والقمر والنجوم والملائكة وأرواح المقدسين مــن الرســل والنبيين والصديقين وغيرهم من المؤمنين.. يلقي أثره علــى مــا في الأرض بمناسباتٍ قَضَتْ حكمةُ القُدس رعايتَها. فالسماء تتوجَه إلى الأرض بأقسامٍ غير متناهية من النــزول والرجع، والأرض تتقبلــها بالانصداع والإيواء بأقسامٍ لا تعدّ ولا تُحصى. فمن أقسام نتــائج هذا الرجع والصدع أشياء تحــدث في طبقــات الأرض كالفــضة والذهب والحديد وجواهرات نفيسة وأشياء أخرى. ومن أقــسامه الزروع والأشجار والنباتات والثمار والعيون والأنهار وكــل مــا تتصدع عنه الثرى. ومن أقسامه جمال وحميرٌ وأفراس وكــل دابــةٍ تدب على الأرض وكل طير يطير في الهواء. ومن أقسامه الإنــسان الذي خلق في أحسنِ تقويم وفُضّل على كل من دبّ ومشى. ومــن أقسامه الوحي والنبوة والرسالة والعقل والفطانة والشرافة والنجابــة والسفاهة والجهل والحمق والرذالة وترك الحياء. ومن أقسامه نزول أرواح الأنبياء والرسل نزولا انعكاسيًّا على كل من يناسب فطرهم ويشابه جوهرهم وخلقتهم في الخلق والصدق والصفاء. ومن ههنــا ظهر أن تأثيرات النجوم ثابتة متحققة منصوصةٌ، ولا يشك فيها إلا الجاهل الغبي البليد الذي لا ينظر في القرآن ويجادل كالأعمى. وهذا

الرجع والصدع جارٍ في السماوات والأرض من يومٍ خلقهما الله وقال ﴿ائتِيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾[1]. فمالت السماء إلى الأرض كالذكر إلى الأُنثى، ولأجل ذلك اختار الرب الكريم لفظ الرجع للسماء، ولفظ الصدع للأرض، إشارة إلى أنهما تجتمعان دائما كاجتماع الذكور والإناث، ولا تأبى إحداهما من الأخرى ولا تطغى. فتأثيرات السماء تنزل ثم تنزل، والأرض تقبلها ثم تقبل، ولا تنقطع هذه السلسلة الدوريّة طرفةَ عين، ولولا ذلك لفسدت الأرض وما فيها.

وقال الله تعالى في أوّل هذه الآية: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾[2]، وقال بعد ذلك: ﴿والسمآء ذات الرجع﴾، فما أدراك أنه في جمع ذكر الرجعين إلى ما أومى؟ فاعلم أنه أشار إلى أن عَود الإنسان بالبعث بعد الموت في قدرة الله تعالى، كما أنه يعيد أرواح المقدسين بإعادات انعكاسية من السماء التي هي ذات الرجع، إلى الأرض التي هي ذات الصدع ومولد كل من يحيا. وهذه نكتة عظيمة لطيفة عُضَّ عليها بنواجذك، وخُذْها بقوة، هداك الله خير الهدى. هذا سِرّ النزول الذي فيه يختلفون، أمر من عنده ليقضي أمرًا قدر وقضى.

---

[1] *سورة فصلت:* ١٢

[2] *سورة الطارق:* ٩

واعلموا أن لله تعالى عند ذكر أنباء الغيب ألسنة شتّى. فتارة ينبئ في ألفاظ مصرّحة للحقائق المقصودة، ويُري سقياها ومرتَعَها، ويبدي ما قصد وعنى. وتارة ينطق بلسان التجوز والاستعارة، ليُخفي الأمر ويبتلي الناس بها. وقد جرت عادته وسنته أنه يختار الإخفاء والكتم في واقعات قضت حكمته إخفاءها، ويخلق الأهواء، فتُحشَر الآراء إلى جهات أخرى. وإذا أراد إخفاء صورة نفس واقعة فربما يري في تلك المواضع الواقعةَ الكبيرة صغيرةً مهونة، والواقعة الصغيرة المسنونة كبيرة نادرة، والواقعة المبشرة مخوّفة، والواقعة المخوفة مبشرة. فهذه أربعة أقسام من الواقعات من سنن الله كما مضى.

أما الواقعة الكبيرة العظيمة التي أراد الله أن يريها صغيرة حقيرة فنظيرها في القرآن واقعة بدر لمن يتدبر ويرى. فإن الله قلّل أعداء الإسلام ببدر في منام رسوله ليذهب الروع عن قلوب المسلمين، ويقضي ما أراد من القضاء.

وأما الواقعة التي أراد الله أن يريها كبيرة نادرة فنظيرها في القرآن بشارة مدد الملائكة كي تقرّ قلوب المؤمنين، ولا تأخذهم خيفة في ذلك المأوى. فإنه تعالى وعد في القرآن للمؤمنين وبشرهم بأنه يُمِدُّهم بخمسة آلاف من الملائكة، وما جعل هذا العدد الكثير إلا لهم بشرى، لأن فردا من الملائكة يقدر بإذن ربه على أن يجعل عالي

الأرض سافلها، فما كان حاجة إلى خمسة آلاف بـــل إلى خمـــسة، ولكن الله شاء أن يريهم نصرة عظيمة، فاختار لفظًا يُفهَم من ظاهره كثرة الممدين، وأراد ما أراد من المعنى. ثم نبه المؤمنين بعد فتح بدر أن عِـــدّة الملائكة ما كانت محمولة على ظاهر ألفاظـــــها، بـــل كانت مؤوَّلة بتأويل يعلمه الله بعلمه الأرفـــع والأعلـــى. وفعـــل كذلك.. لتطمئن قلوبهم بهذه البشرى، ويزيـــدهم حـــسن الظـــن والرجاء.

وأما الواقعة المبشرة التي أراد الله أن يريها مخوفة، فنظيرها في القرآن واقعة رؤيا إبراهيم بارك الله عليه وصلى. إنه تعالى لما أراد أن يتوب عليه ويزيده في مدارج قربه ويجعله خليله المجـــتبى.. أراه في الرؤيـــا بطريق التمثل كأنه يذبح ولده العزيز قربانًا لله الأعلى. وما كـــان تأويله إلا ذبح الكبش لا ذبح الولد، ولكن خشي إبراهيم عليه السلام ترك الظاهر فقام مسارعا لطاعة الأمر، ولذبح الولد سعَى. وما كانـــت هذه الواقعة مبنية على الظاهر الذي رأى، ولو كان كذلك للزم أن يقدر إبراهيم على ذبح ابنه كما رآه في الرؤيا ولكن ما قدر علـــى ذبحه، فثبت أن هذه الواقعة كان لـــه تأويل آخر ما فهم إبـــراهيم عليه السلام، وكيف يفهم عبد شيئًا ما أراد الله تفهيمه، بل أراد أن يسبل عليه سترا؟ وأنت تعلم أن كذب الرؤيا ممتنع في وحي الأنبياء. فاعلم أن ذبح الابن في حلم إبراهيم ما كان إلا بسبيل التجوز والاستعارة

ليخوفه الله رحمة من عنده، ويري الخَلْقَ إخلاصه وطاعته للمولى، وليبتلي إبراهيم في صدقه ووفائه، وانقياده لربه، فما لبث إبراهيم إلا أن تَلَّ الولد العزيز للجبين ليذبحه. رب فارحَمْ علينا بنبيك وإبراهيم الذي وفّى.. الذي رأى بركاتك ولقي خيرا وفَلْجا.

ويشابه هذه الواقعة واقعة الدجال، فإنها جُعلت مخوِّفةً مهيبة، وشُدِّد فيها ومُلِئَ الرعب فيها، وأُعلي أمرها إلى الانتهاء، وما هي إلا سلسلة مُلتئِمة من هِممٍ دجالية، وما فيها من الألوهية رائحة، ولا من صفات الله نصيب، إن هي إلا سلسلة الفتن والمكايد ودعوات الضلالة، ابتلاءً من الله الأغنى. وكيف يمكن أن يحدث شريك البارئ، ويتصرف في ملكوت السماوات والأرض، وتكون معه جنة ونار، وجميع خزائن الأرض، ويطيع أمره سحاب السماء وماء البحر وشمس الفَلك، ويحيي ويميت؟ سبحانه لا شريك له.. تقدس وتعالى. كلا.. بل هي استعارة لطيفة مخبرة من وجود قوم يعلُون في الأرض ومن كل حدب ينسِلون. وهم قوم النصارى الذين لهم سابقة في التلبيس وعجائب الصنع، وعمروا الأرض أكثر مما عمرت من قبل، وترون في أعمالهم الخوارق كأنهم يسحرون. أخَذ الخَلْقَ حيرة من إيجاداتهم، ونوادر صناعاتهم، وأضلوا خلقا كثيرا مما يصنعون ومما يمكرون. أحاطت تلبيساتهم على الأرض، ونجّسوا وجهها، وأخلطوا الباطل بالحق، ويَدْعون الناس إلى الشرك

والإباحة والدهرية، وكذلك يفعلون. وكيف يمكن أن يحدث الدجال من قوم اليهود وقد ضربت الذلّة والمسكنة عليهم إلى يوم القيامة، فهم لا يملكون الأمر أبدا ولا يغلبون. ألا تقرؤون وعد الله.. أعني قوله: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾❶. ألا تتفكرون؟ ألا تتدبّرون في القرآن كيف وضع كل غير الله تحت أقدامنا وبشرنا بعلو كلمة التوحيد إلى يوم القيامة، فكيف يزيغ قلوبكم وتؤمنون بما يعارض القرآن وتلحدون؟ أيجعل الله لذاته شريكا في آخر الزمان ولو إلى أيام معدودات؟ ألا ساء ما تحكمون!

وأما الواقعة المسنونة المعلومة التي أراد الله أن يُريه* غريبة نادرة فنظيره * في القرآن واقعة حلم فرعون، إذ قال: ﴿إني أرى سبعَ بقرات سِمانٍ يأكلهن سبعٌ عِجافٌ وسبعَ سنبلاتٍ خضرٍ وأُخرَ يابساتٍ يا أيها الملأ أفتُوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبُرون﴾❷، وكذلك رؤيا يوسف عليه السلام ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾❸. فهذه النظائر حاكمة بيننا وبين قومنا، وبيانٌ شافٍ فيما كانوا فيه يختلفون. ويشابهها واقعة نزول المسيح.. أخفاها الله كما أخفى هذه

---

❶ *سورة آل عمران: ٥٦*

* *كذا ورد في الأصل*

❷ *سورة يوسف: ٤٤*

❸ *سورة يوسف: ٥*

الواقعات بالاستعارات، فافهموا إن كنتم تفهمون. ما كان من سنن الله أن يَكشِط أنباءه في كل وقت وزمان، بل ربما يبتلي عبـــاده في بعض الأزمنة، ويكتم أنباءه ويومي إلى أسرار وهم لا يشعرون.

وأما الواقعة التي هي غريبة نادرة، وأراد الله أن يريهـــا مفهومـــة معلومة، فنظيرها في القرآن ما أخبر الله تعـــالى مـــن آلاء الجنـــة وأنهارها، وألبانها وأشجارها وثمارها، ولحوم طير مما يعرفونه الخلـــق ويشتهون. يخفي ما يشاء ويبدي.. وفي كل فعله مـــصالح وحكـــم وابتلاءات، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظواهر الـــشريعة وقشورها، وهم عن لبوبها غافلون. وإذا كُشف عليهم مِـــن ســـرٍّ فتزدري أعينهم ويظنون ظن السوء ويكفرون.

وقالوا كيف تواردت أمةٌ على خطأ، وكيف نظن أنهم أخطـــأوا كلهم وأنتم المصيبون؟ يا حسرة عليهم! لم لا يعلمون أن الله غالب على أمره، فإذا أراد أن يخبئ شيئا فلا يفهمه الفَهِمون. ويقـــرؤون سُنَنَه في القرآن ثم يغفلون. ألا يعلمون أن الله قد يخفي أمـــرًا علـــى المقربين من الأنبياء فهم بإخفائه يبتلون؟ وما كان لأمة أن تـــسبق الأنبياء في فهمها، وما كان الله أن يترك قومًا بغير ابتلاء، ﴿أحسِب الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون﴾*. إن الله يبتلـــي كل أمة بأنبائه الغيبية، وقد ابتلى الفاروق وأمثاله، أ أنـــتم منـــهم

* *سورة العنكبوت:* ٣

تزيدون؟ ما لكم لا تخافون ابتلاء الله ولا تخشون؟ لعل نبأ نزول المسيح يكون فتنة لكم، ما لكم لا تتقون؟ أ أنتم أسلم فهمًا من الذين خلوا من قبل، أم لكم براءة من فتن الله، ما لكم لا تتفكرون؟ وقد مضت ابتلاءات قبل هذا، فطوبى لقوم يفتحون الأبصار ويعتبرون.

وقالوا كيف نؤمن بهذا المسيح وقد بشر لنا أنه ينزل عند منارة دمشق، وأنه يقتل الدجال، ويحارب الأعداء فهم يهزمون. وكذلك ينتضون حججا مغشوشة، ولقد ضل فهمهم فهم مخطئون. ألا يعلمون أن المسيح الموعود يضع الحرب؟ ألا يقرؤون الصحيح للبخاري أو ينسون؟ ومن أين نُبُّوا أن المسيح ينزل بدمشق التي هي قاعدة الشام، وبأي دليل يوقنون؟ أَسارَ معهم رسول الله ﷺ إلى دمشق، وأراهم منارة وموضع نزول، أو أراهم صورهما في شِقّة من قرطاس، فهم يعرفونها ولا ينكرون؟ أو هي مصرٌ أفضلُ من الحرمين ولها فضيلة على قرى أخرى ويسكن فيها الطيبون؟

وما يغُرّنّهم ما جاء في أحاديث نبينا ﷺ لفظُ دمشق، فإن له مفهوما عاما، وهو مشتمل على معان كما يعرفها العارفون. فمنها اسم البلدة، ومنها اسم سيد قوم من نسل كنعان، ومنها ناقة وجمل، ومنها رجل سريع العمل باليدين، ومنها معان أخرى. فما الحق الخاص للمعنى الذي يصرون عليه وعن غيره يعرضون؟

وكذلك لفظ المنارة التي* جاء في الحديث.. فإنه يعنى به موضع نور، وقد يطلق على علَمٍ يُهتدى به. فهذه إشارة إلى أن المسيح الآتي يُعرَف بأنوار تسبق دعواه، فهي تكون له كعلم به يهتدون. ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾✸. فكما أن السراج يعرف بإنارته كذلك المسيحُ يعرف بمنارته.

وما ثبت وجود منارةٍ في شرقي دمشق على عهد رسول الله ﷺ، وما أومأ إليه إذا لارتاب المبطلون، بل هي استعارات مسنونات يعرفها الذين أوتوا العلم، وما يجادل فيها إلا الظالمون. أفلا يدّبرون سنن الله أم جاءهم ما لم يأت من قبل فهم له منكرون؟ وأي سر كان في تخصيص بلدة دمشق ومنارها؟ فبيّنوا لنا إن كنتم تتبعون أسرار الله ولا تلحدون. أتعجبون من هذه الاستعارة ولا تعلمون أن الاستعارات حُلل كلام الأنبياء، فهم في حلل ينطقون؟ اذكروا قول إبراهيم عليه السلام.. أعني قوله: "غَيِّرْ عَتَبَةَ بابك"، ثم انظروا إلى إسماعيل عليه السلام كيف فهم إشارة أبيه. أفهم من العتبة عتبةً أو زوجة؟ فتفكروا أيها المسلمون. وانظروا إلى الفاروق رضي الله عنه كيف فهم من كسر الباب موته، لا كسر الباب حقيقةً؟ وإن شئتم فاقرؤوا حديث حذيفة في الصحيح للبخاري لعلكم تهتدون.

---

* *سهو، والصحيح: الذي.*

✸ *سورة الأحزاب: ٤٧*

وقالوا إن المسيح الموعود لا يجيء إلا في وقت خروج الـــدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وما نرى أحدا منهم خارجا، فكيـــف يجوز أن يستقدم المسيح وهم يستأخرون؟ أما الجواب، فـــاعلموا.. أرشدكم الله تعالى.. إن هذان لاسمان لقوم تفرّق شعبهم في زماننـــا هذا آخرِ الزمان وهم في وصف متشاركون. وهم قوم الروس وقوم البراطنة وإخوانهم، والدجال فيهم فَيجُ قسيسين ودعاةُ الإنجيل الذين يخلطون الباطل بالحق ويدجلون. واعتدى* لهم الهند متكأ، وحقت كلمة نبينا ﷺ أنهم يخرجون من بلاد المشرق، فهم من مشرق الهند خارجون. ولو كان الدجال غير ما قلنا، وكذلك كان قوم يأجوج ومأجوج غير هذا القوم، للزم الاختلاف والتناقض في كلام نبي الله ﷺ. وأيم الله إن كلام نبينا منـــزه عن ذلك، ولكنكم أنتم عن الحق مبعدون.

ألا تقرؤون في أصح الكتب بعد كتاب الله أن المـــسيح يكـــسر الصليب؟ ففي هذا إشارة بيّنة إلى أن المسيح يأتي في وقـــت قـــوم يعظّمون الصليب.. ألا تفهمون؟ وقد تبين أنهم أعداء الحـــق، وفي أهوائهم يعمهون. وقد تبين أنهم ملكوا مـــشارق الأرض ومغاربهـــا ومن كل حدب ينسِلون. وقد تبينت خياناتهم في الدين وفتنـــهم في الشريعة، وفي كل ما يصنعون. أتـــرون لـــدجالكم المفـــروض في

* سهو، والصحيح: أعتدتْ.

أذهانكم سعةَ موطئِ قدم في الأرض ما دام فيها هؤلاء؟ فالعجب من عقلكم! من أين تنحتون دجالا غير علماء هذا القوم، وعلى أي أرض إيّاه تسلّطون؟ ألا تعلمون أن المسيح لا يجيء إلا في وقت عبدة الصليب، فأنى تؤفَكون؟ ألا ترون أن الله تعالى مكّن هذه الأقوام في أكثر الأرض وأرسل السماء عليهم مدرارًا، وآتاهم من كل شيء سببا، وأعانهم في كل ما يكسبون؟ فكيف يمكن معهم غيرهم الذي تظنون أنه يملك الأرض كلها؟ يا عجبا لفهمكم! أ أنتم مستيقظون أم نائمون؟ أنسيتم أنكم قد أقررتم أن المسيح يأتي لكسر الصليب؟ فإذا كان الدجال محيطًا على الأرض كلها، فأنى يكون من الصليب وملوكه أثر معه.. ألا تعقلون؟ ألا تعلمون أن هذان نقيضان فكيف يجتمعان في وقت واحد أيها الغافلون؟ وإن زعمتم أن الدجال يكون قاهرا فوق أرض الله كلها غير الحرمين، فأي مكان يبقى لغلبة الصليب وأهل الصليب، أ أنتم تثبتونه أو تشهدون؟ ما لكم لا تفهمون التناقض؟ وأفضَى بعض أقوالكم إلى بعض يخالفها، ودجلتم في أقوال رسول ﷺ ثم أنتم على صدقكم تحلفون. وتُضِلّون الذين ضعفوا قلبًا ولُبًّا وعقلا، وتزيّنون باطلكم في أعينهم، وتزيدون على أقوال الله ورسوله وتنقصون. لن تستطيعوا أن ترفعوا هذه الاختلافات، أو توفّقوا وتطبّقوا ولو حرصتم، ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا، فلا تميلوا كل الميل إلى الباطل وأنتم تعلمون. وإن

تقبلوا الحق وتتقوا فإن الله يتوب عليكم، ويغفر لكم ما قد سلف. فليتدبر أهل الحديث في هذا. ومن لم يهتد بعد ما هدي فأولئك هم الفاسقون.

أيها الناس.. قد جاءت علامات آخر الزمان فلِمَ في مجيء المسيح تشكّون؟ تعالوا أتل عليكم بعضها لعلكم ترشدون. فمنها أن نار الفتن والضلالات قد حشرت الناس من المشرق إلى المغرب، وفي ذلك ذكرى لقوم يتقون. وأتى الإبليس من بين أيدي الناس، ومن خلفهم وعن شمائلهم، وأُبسِلوا بما كسبوا، وما عصم من فتنة الله إلا من رحم، وحال بينهم وبين إيمانهم موج الضلالات فهم مغرقون. وكثير منهم ازدادوا كفرا وعداوة بعد ما ارتدوا واعتدوا فيما يفترون. وجاهَدوا حق جهادهم أن يطفئوا نور الإسلام، فما اسطاعوا أن يضروه، وما استطاعوا أن يظهروه، ولمسوا كتاب الله فوجدوه مُلئت حججا بينة ونورا فرجعوا وهم خائبون. وإنه لكبير في أعين الذين يجادلون ظلمًا وعُلُوًّا ولكن الظالمين لا يخافون الله ولا يتركون دنياهم ولا يتقون. وذهب الله بنور قلوبهم وبصارة أعينهم بما فسقوا.. وتركهم في ظلمات فهم لا يبصرون. قلوبهم غُلْف، وأعينهم كالمرايا التي ما بقي صفاء فيها، ولا يعلمون إلا الأكل والشرب، وتركوا الله الوحيد، وهم على أندادهم عاكفون. كثرت فتنتهم، وزادت على المسلمين محنهم، وكلَّ يوم في ترعرُعٍ شجرتُهم، وفي تموّجٍ رَيعُهم

وزيادهم، وتَراءَوا من كل صَقْعة وفي دنياهم يزيدون. وترى الإسلام كقُفّةٍ ما لها من ثمرة، وأقفّتْ دجاجته وما بقي من بيضة، فليبك الباكون. ضاعت الأمانة وموضعها، ومُحِيَ أثر الديانة ورُفع شَرْجَعها، ووئد العلم وخلا العالمون، وبقي العلماء كتنانين، لا يعلمون الديانة ولا الدين، وإلى الأهواء يأفَدون. والذين سموا أنفسهم مسلمين أكثرهم أمام ربهم يفسقون. ويشربون الخمر ويزنون، ويظلمون الناس وفي الشهادات يكذبون. وارتدعوا عن الطاعات، ولا يرفعون يدا إلى الصدقات، وإلى المنكرات هم باسطون. وهذه الآفات كلها نزلت عليهم بعد ما نزلت علوم المغرب في قلوبهم، وحُرّية التنصّر في بلادهم، فهم إليهم يُحْشَرون. وهذا هو النبأ الذي قد بيّنه رسول الله ﷺ وأنتم تقرؤونه في صحيح البخاري أو تسمعون. فانظروا إلى فتن العلوم المغربية.. كيف تحشر الأحداث إلى المغرب.. وانظروا كيف صدّق الله نبأ رسوله أيها المؤمنون.

واعلموا أن المراد من النار نار الفتن التي جاءت من المغرب، وأحرقت أثواب التقوى. فتارة توعدت السفهاء من لهبها، وأخرى زينت في أعينهم نورها، وراودهم عن أنفسهم، فهم بها مفتونون. فلا تفهموا من هذه الأنباء مدلولها الظاهر، ولا تعرضوا عما تشاهدون. واعلموا أن لكلمات رسول الله ﷺ شأنا أرفع وأعلى، ولا يفهمها إلا الذي رزقه الله رزقًا حسنا من المعارف، وأعطاه قلبًا

يفهم، وعينًا تبصر، وأذنا تسمع، فهو على بصيرة من ربه، ولا يلقاها إلا الذين ما بقي لهم عين ولا أثر وهم يفنون في رسول الله ﷺ بحيث يصير وجودهم منخلعا عن أحكامه، وبأحكام وجود النبي ينصبغون. فأولئك الذين يُملأ صدورهم من علم النبي، ويؤتون حظا من أنواره، ومن عينه يشربون. ويعطى لهم نصيب من صرافة العصمة والحكمة، ويسقون من كأس مزاجها من تسنيم، ويزكّون بجلال الله وسلطانه، وبحفظهم* يحفظون. ثم يرثهم السعيد الذي يستمع كلامهم بحسن الظن والقبول، ويتبعهم ويلزمهم، ويؤثر نفسهم لكسر سورة نفسه، ويغيب فيهم بمحبته، فيخرج كالدر المكنون. والحمد لله الذي جعلني منهم، فليمتحن الممتحنون.

لقد جئتهم بالحكمة والبصيرة من ربي، ولأبيّن لهم بعض الذي كانوا فيه يختلفون. وفرّقوا الإسلام وجعلوا أهله شيعا، وبعضهم على بعض يصولون ويكفرون. فالآن نناديهم في عَراء، فهل منهم مبارزون؟ وقد دعوناهم إلى المقاومة فهم عنها معرضون. أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون. أم يحسبون أن الله لا يميز بين الخبيث والطيّب.. ما لهم كيف يتفكرون؟ وإني أفوض أمري إلى الله، وأصفح عنهم فسوف يعلمون.

*سهو، والصحيح: وبحفظه.

ومن علامات آخر الزمان التي أخبر الله تعالى منها في القرآن واقعات نادرة تشاهدونها في هذا الزمان وتجدون. وقد بيّن لنا علاماته وقال: إذا الجبال سيِّرت، وإذا البحار فجِّرت، وإذا العِشار عطِّلت، وإذا النفوس زوِّجت، وإذا الصحف نُشرت. إذا زلزلت الأرض... الآية، وإذا الأرض مُدّت، وألقت ما فيها وتخلَّتْ، وإذا الكواكب انتثرت، وإذا الوحوش حُشرت. وفي كل ذلك أنباء آخر الزمان لقوم يتفكرون.

أما تسيير الجبال فقد رأيتم بأعينكم أن الجبال كيف سيّرت وأزيلت من مواضعها وخيامُها هدِّمت، وقُنونها لاقتِ الوِهاد وصفوفُها تقوضت، تمشون على مناكبها وتأفَدون.

وأما تفجير البحار فقد رأيتم أن الله بعث قوما فجّروا البحار وأجرَوا الأنهار وهم على تفجيرها مداومون. وأحاطوا على دقائق علم تفجير الأنهار وأفاضوها على كل واد غير ذي زرع، ليعمروا الأرض ويدفعوا بلايا القحط من أهلها وكذلك يعملون، لينتفعوا من الأرض حق الانتفاع فهم منتفعون.

وأما تعطيل العشار فهو إشارة إلى وابور البر الذي عطّل العِشار والقِلاص فلا يُسعى عليها، والخلق على الوابور يركبون. ويحملون عليه أوزارهم وأثقالهم، وكطيِّ الأرض من مُلك إلى ملك يصلون. ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

جعل الله على قلوبهم أكنة أن يفقهوا أسراره، وفي آذانهم وقرا فهم لا يسمعون. وإذا وجدوا صنعة من صنائع الناس.. ولو من أيدي الكفرة.. يأخذونها لينتفعوا بها، وإذا رأوا صنعة رحمة من الله فيردّون.

وأما تزويج النفوس فهو على أنحاء.. منها إشارة إلى التلغراف الذي يُمِدّ الناس في كل ساعة العسرة، ويأتي بأخبار أعزّة كانوا بأقصى الأرض، فينبئ من حالاتهم قبل أن يقوم المستفسر من مقامه، ويُدير بين المشرقي والمغربي سؤالا وجوابا كأنهم ملاقون. ويخبر المضطرين بأسرع ساعة من أحوال أشخاص هم في أمرهم مشفقون. فلا شك أنه يزوّج نفسَين من مكانين بعيدَين، فيكلم بعضهم بالبعض كأنه لا حجاب بينهم وكأنهم متقاربون.

ومنها إشارة إلى أمن طرق البحر والبر ورفع الحرج، فيسير الناس من بلاد إلى بلاد ولا يخافون. ولا شك أن في هذا الزمان زادت تعلقات البلاد بالبلاد، وتعارف الناس بالناس فهم في كل يوم يزوَّجون. وزوّج الله التجار بالتجار، وأهل الثغور بأهل الثغور، وأهل الحرفة بأهل الحرفة، فهم في جلب النفع ودفع الضرر متشاركون. وفي كل نعمة وسرور، ولباس وطعام وحبور، متعاونون. ويُجلَب كل شيء من خِطّة إلى خطة، فانظر كيف زوّج الناس كأنهم في قاربٍ واحدٍ جالسون.

ومن أسباب هذا التزويج سير الناس في وابور البر والبحر، فهم في تلك الأسفار يتعارفون. ومن أسبابه مكتوبات قد أُحسنت طرق إرسالها، فترى أنها ترسل إلى أقاصي الأرض وأرجائها، وإن أمعنت النظر فتعجبك كثرة إرسالها، ولن تجد نظيرها في أول الزمان، وكذلك تعجبك كثرة المسافرين والتجارين. فتلك وسائل تزويج الناس وتعارفهم، ما كان منها أثر من قبل وإني أنشدتُكم الله.. أرأيتم مثلها قبل هذا أو كنتم في كتب تقرؤون؟

وأما نشر الصحف فهو إشارة إلى وسائلها التي هي المطابع، كما ترى أن الله بعث قومًا أوجدوا آلات الطبع، فكأين مِن مطبع يوجد في الهند وغيره من البلاد. ذلك فعل الله لينصرنا في أمرنا، وليشيع ديننا وكتبنا، ويبلغ معارفنا إلى كل قومٍ لعلهم يستمعون إليه ولعلهم يرشدون.

وأما زلزلة الأرض وإلقاؤها ما فيها فهي إشارة إلى انقلاب عظيم ترونه بأعينكم، وإيماء إلى ظهور علوم الأرض وبدائعها وصنائعها، وبدعاتها وسيئاتها، ومكايدها وخدعاتها، وكل ما يصنعون.

وأما انتثار الكواكب فهو إشارة إلى فتن العلماء وذهاب المتقين منهم، كما أنكم ترون أن آثار العلم قد امتَحتْ وعفَتْ. والذين كانوا أوتوا العلم فبعضهم ماتوا وبعضهم عمُوا وصمّوا، ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا، وكثير منهم فاسقون، والله بصير بما يعملون.

وأما حشر الوحوش فهو إشارة إلى كثرة الجاهلين الفاسقين، وذهاب الديانة والتقوى، فترون بأعينكم كيف نزَح بِيرُ الصلاح وأصبح ماؤه غورا، وأكثر الخَلق يسعون إلى الشر وفي أمور الدين يُدهِنون. إذا رأوا شرًّا فيأخذونه، وإذا رأوا خيرًا فهم على أعقابهم ينقلبون. ينظرون إلى صنائع الكفرة بنظر الحب، وعن صنع الله يعرضون.

أيها الناس.. انظروا إلى آلاء الله.. كيف جدّد زمنكم، وأبدعَ هيئةَ دهركم، وأترعَ فيه عجائب ما رأتها أعين آبائكم ولا أجدادكم، وأنتم بها تُترَفون. وعلّم أهلَ أروبا صنعةَ وابور البرّ إهداءً لكم ولعشيرتكم لعلكم تشكرون. انظروا إليها كيف تجري بأمره في البراري والعمران، تركبونها ليلا ونهارا، وتذهبون بغير تعب إلى ما تشاءون. وكذلك فهّم أهلَ المغرب صنائع دون ذلك من آلات الحرث والحرب، والعمارات والطحن واللبوس، وأنواع أدوات جر الثقيل، وما يتعلق بتزيينات المدن والمنازل وتسهيل مهماتها، فأنتم ترغبون فيها وتستعملون. وتجدون في كل شهر وسنة من إيجادات غريبة نادرة، لم تر عينكم مثلها، فمنها ما يُمِدُّكم في عيشتكم، وتنجيكم من شِقّ الأنفس، كصناديق طاقة الكبريت التي بها توقدون، وكزيت الغاز الذي منه مصابيحكم تنيرون. ومنها صنائع هي زينة بيوتكم، فتأخذونها وأنتم مستبشرون.

فانظروا وتفكروا.. إن الله ربكم الرب الكريم الذي أعطاكم من كل نوادر الأرض وأملأ بيوتكم منها، فكيف تعجبون من نزول نوادر السماء وتستبعدون؟ وتسرّون بأشياء دنياكم التي هي أيام معدودات، ولا تنظرون إلى زاد عقباكم ولا تبالون. وكيف تعجبون من نزول المسيح وأيام الفضل الروحاني، وأنتم ترون عجائب فضل الله قد تجلت لإراحة أجسامكم بصور جديدة، وحلل نادرة، ما تجدون مثلها في أيّام آبائكم. أ فتؤمنون بعجائب الكفار وبفعل الله تكفرون؟ وتيئسون من قدرة الله، ومن قدرة الخلق لا تيئسون؟ ما لكم لا تعرفون أفعال الله النادرة ببعض أفعاله التي تعرفونها وتشاهدون؟ أ كنتم مطلعين من قبل على هذه النوادر التي ظهرت في زمانكم من وابور البر والتلغراف وصنائع أخرى. كانت هي كلها مكتوبة في القرآن ولكنكم كنتم لا تفهمون، وكذلك ما فهمتم سر نزول المسيح من غرارتكم، وقد كان مكتوبا في كتاب الله. وما كان لبشر أن يفهم شيئا قبل تفهيم الله، ولو كان النبيون.

والعجب كل العجب منكم أنكم لا تظهرون كراهة في قبول صناعات جديدة مفيدة لأجسامكم، ولكن إذا دعوتكم إلى صنع الله الذي أتقن كل شيء، ورأيتموه في أعينكم غريبا نادرا، فأظهرتم كراهة وسخطة، وأبيتم وأنتم تعلمون.

أيها الناس.. ما جئت بأمر منكر، وقد شهد الله على صـــدقي، ورأيتم بعض آياتي، ووجدتم ذكر زمني في كتـــاب الله الـــذي بـــه تؤمنون. والله نكّر الأمر في أعينكم ليبتلـــي علمكـــم وتقـــواكم، فاغترّت فتنتُه وأنتم غافلون. أيها الإخوان! خذوا كتاب الله بأيديكم ثم تدبروا فيه.. هل جاء وقت آخر الزمـــان أو في مجيئـــه حقـــب وقرون؟ إنكم تعلمون أن المسيح يأتي في آخر الزمان، وقد رأيـــتم بأعينكم علاماته، وشاهدتم النوادر الأرضية التي جعلها القرآن الكريم من آثار الـــزمن المتأخر، وأنتم منها تنتفعون. فما لكم لا تؤمنـــون بالنوادر السماوية التي تدل عليها الآيـــة الكريمة.. أعني بذلك قوله تعالى: ﴿إذا السماء كُشطتْ﴾،[1] وتُخلدون إلى الأرض ومـــن آلاء السماء تبعدون؟

وقد بشر الرب الكريم في هذا الأمر بشارة أخرى بقوله: ﴿وإنـــا لـــه لحافظون﴾[2] ولكن تنسون بشارات ربكم وفي آياته تُلحدون.

اعلموا أيها الأعزة.. أن السماء والأرض كانتا رَتْقًا ففتَقهمـــا الله، فكُشطت السماء بأمره وصدعت، ونـــزلت نوادر وخرجت، ليبتلي الله عباده إلى أيّ جهةٍ يميلون. وتقدمت نوادر الأرض علـــى نـــوادر السماء، فاغتر الناس بصنائعها وعجائب علومها وغرائـــب فنونهـــا،

[1] سورة التكوير: ١٢.
[2] سورة الحجر: ١٠.

وكادوا يهلكون. فنظر الرب الكريم إلى الأرض ورآها مملـوءة مـن المهلكات، ومترَعة من المفسدات، ورأى الخلق مفتونا بنوادرها، ورأى المتنصرين أنهم ضلوا ويُضِلّون، ورأى فلاسفتهم اختلبوا الناس بعلومهم ونوادر فنوهم، فوقعت تلك العلوم في قلوب الأحداث بموقع عظـيم كأنهم سُحروا فجذبوا إلى الشهوات واستيفاء اللـذات، والتحقـوا بالبهائم والحشرات، وعصوا ربهم وأبويهم وأكابرهم، وأُشـربوا في قلوبهم الحرّية، وغلبت عليهم الخلاعة والمجون. فأراد الله أن يحفظ عزة كتابه ودين طلابه، من فتن تلك النوادر كما وعد في قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لـه لحافظون﴾. فأنجز وعده، وأيد عبده، فضلا منه ورحمة، وأوحى إليّ أن أقوم بالإنذار، وأنزل معي نـوادر النكـات والعلوم والتأييدات من السماء، ليكسر بها نوادرَ المتنصرين وصليبهم، ويحتقر أدبهم وأديبهم، ويدحض حجتَهم، ويفحم بعيدهم وقريبـهم. فمظهر نوادرِ الأرض وفتنِها هو الذي سمي بالدجال المعهود، ومظهر نوادر السماء وأنوارِها هو الذي سمي بالمسيح الموعود. خصمانِ تقابلا في زمن واحد، فليستمع المستمعون.

فالآية الأولى من آيات صدقي أني أرسلت في وقت هذه الفـتن التي قد أشار كتاب الله إليها. فأنزلني ربي من السماء كما أخـرج الفتن من الأرض، وتكلم في استعارات وأيّدني كما أُيّد الصادقون. انظروا إلى الأيام التي كانت قبلكم من اليوم الـتي خلـق الله فيـه

الإنسان.. هل شاعت وغلبت مثل هذه الفتن العظيمة على وجه الأرض؟ أو هل سمع نظيرها ونظير نوادرها في شيع الأولين؟ فما لكم لا تتفكرون؟ أما ترون كيف تُرَدّ آيات الله بأقوال الفلاسفة وتستهزأ بها، وتكتب في ردها ألوف من كتب، هل سمعتم مثلها من قبل أيها المؤرخون؟ هل سمعتم من قبلُ توهينَ الرسول الكريم وسَبَّه وطعنًا في دينه، والضحك عليه، كما أنكم في هذا الزمان تسمعون؟ أو هل سمع أحد من الأولين ازدراء كتاب الله واحتقار رسوله بألفاظ شنيعة مؤلمة كما تسمعها آذانكم؟ فلم تعجبون من رحمة الله في هذا الطوفان أيها النائمون؟ ألا ترون كيف يسخرون منكم ومن دينكم؟ سخرِ الله منهم وأصمّهم وأعماهم فهم لا يُبصرون.

أيها الأعزة.. هل أتى زمان على أحد كما أتى عليكم؟ سمعتم من أهل الكتاب أذًى كثيرا وسبقوا في الافتراء والسبّ والإيذاء، وصُبّت على الإسلام مصائب. ترتَع الحمير في مرعى الخيل، وترثَع الكلاب على الغِيل بشدة الميل، فأي زمان بعد ذلك تنتظرون؟

ومن آيات صدقي أنه تعالى وفّقني باتباع رسوله واقتداء نبيه ﷺ، فما رأيت أثرا من آثار النبي ﷺ إلا قفوته، ولا جبلا من جبال المشكلات إلا علوته، وألحقني ربي بالذين هم ينعمون.

ومن آيات صدقي أنه أظهرني على كثير من أمور الغيب، وهو لا يظهر على غيبه أحدا إلا الذين هم يرسلون.

ومن آيات صدقي أنه يجيب دعواتي، ويتولى حاجاتي، ويبارك في أفعالي وكلماتي، ويوالي من والاني، ويعادي من عاداني، وينبئني مما يكتمون. وإنه سمع كثيرا من بكائي، ورفعني إذا خررت أمامه، وأجاب أدعيةً لا أستطيع إحصاءها، وأحسن مثواي ومنّ علي بآلاءٍ ليست لي ألفاظ لبيانها، وأتمَّ عليّ رحمته في الدنيا والآخرة، وجعلني من الذين ينصرون. وخاطبني وقال: "يا أحمدي، أنت مرادي ومعي. أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي. فحان أن تُعان وتُعرف بين الناس. أنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق". فكلّمني بكلمات لو كانت لي الدنيا كلها ما أسرّني كما أسرّتني هذه الكلمات المحبوبة. فروحي فداءُ سبيله، هو وليي في الدنيا والآخرة. ما أصابني ظمأ ولا نصب ولا مخمصة إلا أتاني لنصرتي، وأرى آلاءه واردةً تترا عليّ كالذين لا يستحسرون.

ومن آيات صدقي أنه أعطاني علم القرآن، وأخبرني من دقائق الفرقان، الذي لا يمسّه إلا المطهّرون.

ومن آيات صدقي أنه أدبني فأحسن تأديبي، وجعَل مشربي الصبرَ والرضاء والموافقة لربي والاتباع لرسولي. وأودع في فطرتي رموز العرفان، وجعلني عارفا لمصالح الأمور ومفاسدها، وأدخلني في الذين هم منفردون.

يا مشايخ العرب وأصفياء الحرمين.. هذه هي الأخبار والمواعظ التي عرضتها على علماء الهند، ونبّهتهم فلم ينتبهوا، ووعظت فلم يتعظوا، وأيقظت فلم يستيقظوا، ووقعوا في ظنون الجاهلية، وهمّوا بتكفيري وتكذيبي، وأخذوا بتلابيبي، وهم على قولهم يصرّون. وقد أتممت عليهم حجتي، وابتلج عليهم صباح صدقي، وجحدوا بدعوتي واستيقنتها أنفسهم وهم بلسانهم منكرون. وإني أرى قلوبهم وَجِلةً، وفي مهجتهم حسرة وكربة، وتراءى لهم الحق وهم يتجاهلون. وأرى أنهم قد تفرقوا وكانوا في أمري أزواجا شتّى، فبعضهم صدقني وهم ضعفاؤهم وأتقياؤهم، وبعضهم كذبني وأعرض وازدراني في عينه كبرًا وقلًى، وهم الذين يستكبرون. وإني أرى المصدقين أنهم يزيدون، وأرى المكذبين أنهم ينقصون، ويأتي الأرض ربي ينقصها من أطرافها، ويفهّم القلوب، ويفتح العيون، ويزيل الظنون. والذين يأتوني بتوسم الأتقياء فهم يعرفوني ويبايعون. يشحّذ بصيرة تقواهم فهم لا يتردّدون.

وقد أنبأني ربي أنني كسفينة نوح للخلق، فمن أتاني ودخل في البيعة فقد نجا من الضيعة، فطوبى لقوم هم ينجون. وما آمر الناس إلا بالقرآن، وإلى القرآن، وإلى طاعة الرب الذي إليه يرجعون. إن الله قد رأى في قلوب الناس، وجوارح الناس، وأعين الناس، وآذان الناس، ونيّات الناس، ذنوبًا وآثامًا وإجرامًا، ورآهم ملوَّثين بأنواع

المعاصي والخطيات، فأقام عبدًا من عباده لدعوتهم إلى لبّ الدين وحقيقة الشريعة التي ما ذاق الناس طعمها، فهم منها مهجورون.

أيها الإخوان من العرب ومن مصر وبلاد الشام وغيرها.. إني لما رأيت أن هذه النعمة نعمة عظيمة، ومائدة نازلة من السماء، وآية كريمة من الله ذي العطاء، فلم تطب نفسي أن لا أشارككم فيها، ورأيت التبليغ حقا واجبا، ودينا لازمًا لا يسقط بدون الأداء، فها أنا قد قلت لكم ما تَبدّى لي من ربي، وأنتظر كيف تجيبون.

ووالله إني مأمور من الله الذي أرسل نبينا وسيدنا محمدا المصطفى ﷺ لهداية كافة الناس. وأعلم من الله أنه لا يضيعني، وقد خلع علي من حلل الولاية، وسقاني من كأسها، وأعطاني ما يعطى المقربون. وأرى بركاتِه نازلةً على أنفاسي، وعلى قلبي ولساني، وعلى فهمي وبياني، وعلى جدران بيتي وعتبة بابي وأُسْكُفّتِها، فهل أنتم تقبلون؟ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون. وإني متوكل على ربي، وأفوض أمري إلى الله، وأدعو الله أن يصفي خَلقه من خبث الأهواء، ويلهمهم فعلَ الخيرات وقبولَ نداء أهل الاجتباء، وينجيهم في الدنيا والآخرة من سوء الخزي وجهد البلاء، ويُلحقهم بالذين هم صادقون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي يهب الإيمان، ويفتح الآذان، وينوّر العيون، ويزيل الظنون.

تتمة البيان..
في ذكر بعض السوانح
ومنن اللّه المنان

أيها الإخوان، قد أُلقيَ ببالي، من بعد ما نمّقتُ مكتوبي وأتممت مقالي، أن أكشف القِناع عن بعض سوانحي وسوانح آبائي، لتعلموا ما أسبغ الله عليّ من العطاء، وربّاني من أيدي المنن والآلاء، ولكي يحصل لكم بصيرة تامّة في أموري ومهامي، ويتضح وينكشف عليكم مسكني ومستقري ومقامي، ولعل الله يقلب قلوبكم وتأتونني مسترشدين، أو تراسلونني وتسألون.

فاعلموا.. أيدكم الله.. أن آبائي كانوا الفارسيين أصلا ومن سادة القوم وأمرائهم. ثم قادهم قضاء الرحمن إلى بلدة "سمرقند"، فلبثوا فيه برهة من الزمان، والله يعلم بما لبثوا، ولا علم لي إلا ما أُنبئتُ من صحفهم التي كانوا يكتبون. ثم بدا لهم أن يسيروا إلى أرض الهند، فسافروا من وطنهم، وانحدروا إلى بعض أضلاع منها يقال لها "فنجاب"، ووجدوا في بعض نواحها أرضا طيبة مُخصبةً،

صالحة الهواء عذبة الماء، فألقَوا بها عصا التَّسْيار، ونزلوا فيها بِنيّة الاستقرار، وكانوا متغـــربين في نفر من قومهم.. منهم السادة ومنهم الخادمون. فآواهم الله في تلك الأرض، وبوّأهم مبوّأ عزة، ومكّنهم. فعمروا فيها قرية، وسموها: "إسلام بور" (المعروف بقاديان)، ذلك بأنهم أرادوا أن يُسكنوها جماعة المسلمين من أعزتهم، ليكون بعضهم لبعض ظهيرا، ولعلهم يحفظون أنفسهم من الأعداء، وإذا أصابهم البغي ينتصرون. وسكنوها وتملكوا، وأثمروا وبوركوا، وكان هذه الواقعة في أيام دولة الملوك الجغتائية، الذين كانوا من أقوام الجيل، وكان زمام الحكومة إذ ذاك بيد اقتدار المـــلك الذي كان اسمه "بابر"، وكان من الذين يكرمون الشرفاء ويعظمون. فأعزّهم وأكرمهم، وأعطاهم قرى كثيرة، وجعلهم من أمراء هذه الديار وأهل الأرضين، وعظماء الحراثين وزعمائهم، ومن الذين يتملكون.

فرَقُوا في مدارج الإقبال، وزادوا أموالا وأراضي وإمارةً، وكانوا.. مع إماراتهم وثروتهم.. يتقون الله، وفي سبل الخير يسلكون. وفي أيّام إمارتهم تَهلَّلَ وجه الإسلام في رعاياهم وأقوامهم، وكانوا أتقياء، وكانت الأمم لهم يخضعون. وكانوا يرغبون في الصالحات، وفعل الخيرات، ويمسكون بكتاب الله، وينصرون دين الله، وإلى نوائب الحق يَأفَدون.

وبعد ذلك الأيام.. قُلِّب أمر سلطنة الإسلام، وتطرق الاختلال والضعف فيها، ليصيب الذين أجرموا من الملوك صغار من عند الله، وعذاب شديد بما كانوا نسوا حدود الله، وبما كانوا يعتدون. فصاروا طرائقَ قِدَدًا.. يبغي بعضهم على بعض، ويقتلون أنفسهم ويفسدون. وتركوا كل رشدٍ وصلاح، ومالوا إلى ما يباين الورع، وكانوا في أعمالهم يعتدون. ولم يبق فيهم من يتعاشر بالمعروف، ويرحم على الضعيف المؤوف، بل عاقب بعضهم بعضًا بالسيوف، وأرادوا أن يأكلوا شركاءهم، ويستأصلوا إخوانَهم، وأكابرهم وآباءهم، وكانوا من بعدهم كالذين لا شريك لهم في الملك وهم متوحدون. وأكثرهم كانوا يعملون السيئات، ويستوفون دقائق الشهوات، ويتركون فرائض الله وحدوده، وإلى شرك الأهواء يُوفِضون ثم لا يُقصِرون. وفرحوا بما عندهم من الدنيا، واستقرأوا طرقا منكرة، وأخذوا سبلا منقلة، وطاغوا وزاغوا، وانتهى أمرهم إلى فساد ذات البين، فسقطوا من الزين في الشين، فغيِّر زمانهم، وقلِّب دهرهم، ذلك بأن الله لا يرضى أن يرث أرضه الفاسقون. وكان بعضهم كمثل الذين ارتدوا من دين الإسلام، وخلعوا عنهم رداء أسوة خير الأنام، وكانوا لا يعرفون نعماء الله ولا يشكرون. فغضب الله عليهم، ومزق ملكهم، وجعله عضينَ، وبعث أقوامًا كانوا يبسطون أيديهم إلى ممالكهم ويقتسمون.

وكان ذلك الزمن زمان طوائف الملوك، وكانوا إلى ثغورهم يحكمون. وكان آبائي منهم، يأمرون على ثغرهم، وكالملوك على قراهم يقتدرون. وكان يُرفَع إليهم ما وقع في رعاياهم، فكانوا يحكمون كيف يشاءون، ولا يخافون إلا الله ولا يستجيزون أحدا ولا يستأذنون.

ثم نُقل صلحاء آبائي إلى جوار رحمة الله، وخلَف من بعدهم قوم أضاعوا الصالحات المسنونات، وما رعَوها حق رعايتها، ووقعوا في البدعات والرسوم وما تَعافَوها، وكانوا لدنياهم يلتاعون. وكذلك هبّت الريح في تلك الأيام على جميع أمراء المسلمين وطوائف ملوكهم، وغفلوا من الانقياد إلى الله والإخبات له، وعصوا أحكام القرآن، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وكانوا يراءون ولا يخلصون.

ونظر الله إليهم فوجدهم كأجساد لا أرواح فيها، ورآهم أنهم انتكسوا على الدنيا وكانوا مما سواها يستوحشون. وكانوا يشفقون على مهمات دنياهم وعلى الدين لا يشفقون. وتلطخوا بقاذورات النشأة الأولى، وغفلوا عن النشأة الثانية، فما طلبوها وما كانوا يطلبون. فاقتضت حكمة الله تعالى لينبههم، وأراد أن ينزع الملك منهم، ويؤتي قومًا من عبدة الأوثان كانوا يسمون أنفسهم "خالصة"، وكانوا أميّين لا يعلمون شيئا ولا يعقلون. فأهاج الله

تقريبات عجيبة لنصرهم وإقبالهم، وإزعاج شجرة المسلمين وحطمهم، ليعلموا أنهم فسقوا أمام ربهم وأنهم ظالمون.
فقام "الخالصة" بجميع الجهد والهمة ليستأصلوا المسلمين، ويصفو ملكهم لهم، وأعانهم الله عونًا عجيبًا، فكانوا في كل موطن يغلبون.
ففي هذه الأيام صبت على آبائي حوادث ونوازل، واستولى "الخالصة" على بلادهم وجاسوا ديارهم، وغصبوا ملكهم ورياستهم واستخلصوها من أيديهم، ونهبوا أموالهم وخرّبوا عماراتهم، وفرّقوا أجيالهم، وأحرقوا دار كتبهم، وأُحرق فيها زهاء خمسمائة مجلدات كتاب الله الفرقان، وكان المسلمون ينظرون إليها ويبكون. واتخذوا مساجدهم معابد أصنامهم، وقتلوا كثيرًا منّا بحسامهم، وجعلوا أعزّتنا أذلة. حتى إذا بلغت الكربة منتهاها، وأحاطت الهموم على آبائي، وضاقت الأرض عليهم بما رحبت، وأُخرجوا من دار رياستهم، في نفر من إخوانهم وعبيدهم وخدمهم، فكانوا في كل أرض يتيهون. وأظهر الكفرة في بلادهم شعائر الكفر، ومحوا آثار الإسلام وجعلوها غثاءً، وقلبوا الأمور كلها وكذلك كانوا يفعلون.
فأصابت المسلمين في هذه الأيام مصيبة عظيمة، وداهية عامة، وما كان لأحد أن يؤذن في مسجد، أو يقرأ القرآن جهرًا، أو يُدخِل أحدًا من الهنود في دين الله، أو يذبح بقرة، وكان الجزاء في كل هذه الأمور القتل والنهب، وإن خُفِّف فتقطيع الأيدي والأرجل، وإن

رُحِمَ عليه فالحبس الشديد حتى يموت في السجن ظمأً ومخمصةً وهم يشهدون.

وكان المسلمون مظلومين مجروحين مغصوبين مضروبين كل الأيام، وما كان لهم محيص ولا مناص، ولا مخلّص ولا راحم، وكانوا من كل باب يُطْرَدون. وكانوا يبنون بيتًا ولا يبيتون فيها، ويكسبون أموالا ولا ينتفعون منها ولا يحظون. وكانوا من كل جهة شُنّت الغارات عليهم ويُنهَبون. وكانوا تارة يُحبَسون، وتارة يُقتَلون، وأخرى إلى السبي يذهبون. وكانوا يزرعون بجهد مُهجتهم ولا يأكلون مما زرعوا شيئا ولا يدَّخرون. صُيّرت المدن خَرِبة، والطرق مَخوفة، والزروع معدومة، والأموال مفقودة، والمساجد موحشة، والعلوم موءودة، وكان المسلمون في أعينهم كالجراد وفي الازدراء يزيدون. وكان طائفة منهم يهاجرون إلى بلاد أخرى ويتركون بيوتهم ومساكنهم، وعلى جناح التعجيل يرحلون. وأكثرهم كانوا كالمقيدين بأيدي الكفرة، وكانت الفجرة كالأفاعي يصولون على المؤمنين ويلقَفون.

فتاب المسلمون إلى ربهم، وطرحوا بين يدي مولاهم الكريم، وكانوا في المساجد يخرون على المساجد، ويدعون عليهم، ولكشف هذا الرجز يتضرعون. وقد قتل ألوف منهم بما أذّنوا وصلّوا، وذبحوا بقرة أو عقروا، وما كان لهم حكَم ليرفعوا قضاياهم إليه، ولا كهف

ليبكوا على بابه، فكانوا في كل وقت إلى ربهم يرجعون. وأوذوا وعذبوا وكادت أن تزهق أنفسهم وهم يندُبون ويرثُون. وزلزلوا زلزالا شديدا، وقتِّلوا تقتيلا شنيعًا، وبُدّدوا تبديدًا، حتى صعد إلى العرش عويل اليتامى، ونياح الأرامل، وضجيج الضَّعَفة، وارتعدت الأرض تحت أقدام الكفرة، وأخذت المقربون أذيال رحمة الله وهم يشفعون.

فلما اجتمعت أدعية الضعفاء والمضطرين في حضرة الله تعالى، ولحقت بها توجهات المقربين، وتواطأت الأسباب من كل جهة وطرف، ورأى الله تعالى أن المسلمين أصيبوا في مالهم، وأنفسهم وعيالهم، وأعراضهم ورحالهم، وعقائدهم وأعمالهم، ورأى أن المصيبة قد بلغت انتهاءها، فنظر نظر التحنن والترحم إلى المذنبين، وادّكرَ قومَه الذين هم عباده المنتخبون، الذين إذا استغفروا متندمين فيُغفرون، وإذا استنـــزلوا الرحمة باكين فيُرحمون، وإذا استغاثوا متضرعين فيُنصرون، وإذا خروا ساجدين عند حدوث نازلة يسعى الله إليهم ويؤيَّدون، وإذا جاءوا توّابين فيُقبَلون. وأجيبت الدعوات، وسمعت التضرعات، واشتد غضب الله على "الخالصة" وقضى بهلاكهم وهم غافلون.

فلما حان وقت هلاكهم أغرى الله بينهم العداوة والبغضاء، يقتل بعضهم بعضًا، فكانوا كالسباع يفترسون أعزّهم ويسفكون. وأراد

كل واحد منهم أن يقطع دابر أخيه، وأسرّوا في أنفسهم استيصال شركائهم، وقالوا لو قتلنا هؤلاء فبعدهم إنا لنحن الحاكمون. فسلّوا سيوفهم على آبائهم وأعمامهم، وإخوانهم وأبنائهم، فقُضِي الأمر في أيام معدودات، وأذاقهم الله ما كانوا يستباحون. وهم في تلك الأيام تفرقوا وصاروا شيعا، وجعلوا يفسدون في الأرض ويقطعون الطريق، ويصولون على المسافرين كالسباع، وبإدلال الدولة الفانية يستكبرون. وما كان لهم علمٌ ليتهذّبوا، ولا قلب ليفهموا، ولا آذان ليسمعوا، ولا أعين ليبصروا، وكانوا كالوحوش البرية، فوَذَرُوا الآخرة وألغوها، وكانوا يقعون على الآجلة كالكلب على الجيفة أو يزيدون. فما بقي من مهجّة ولا شِعب إلا شغَبوا عليها، وما رأوا من أموال إلا نهبوها، وكان سفك دماء المسلمين عندهم أخفَّ من قتل بعوضة، وكانوا على قتلهم يحرصون. وكانوا كذابين غدارين، لا يرقبون إلّهم، ولا يرعون حلفهم، وينقضون العهود، وينكثون الأيمان ولا يتقون.

فأراد الله أن يأسو جروح المسلمين، ويفكّ رقبتهم من نير الظالمين، وينقذهم من سجن الفرعونيين، ويمنّ على الذين كانوا يُستضعفون. فدعا قومًا من أقصى الأرض، فنسَلوا إلى دُويرهم الخربية، ينقصونها من أطرافها، وجاءوا بأفواج كرارة مبشرة بنجاح وفتح، ونزلوا بعراء بلدة اسمها: "فيروز بور"، وكان المسلمون بِرّيا

قدومهم يفرحون. فما كان "للخالصة" الدنيّة أن يقاوموهم أو يحاربوهم، وألقى الله عليهم الفشل، كأنّ الدم عُصِرَ من أبدانهم، فواجهوا إلى بيوتهم وهم يُهزَمون. وألقى الله في قلوبهم رعبا عجيبا، وهيج البلابل في صدورهم، وأضرم في أحشائهم جمرة حب الحياة، فولوا الدبر كالخناثى وهم يبكون. وعاقبتْهم فِتْــية قوم كان عون الله معهم، وسقطوا على وجوههم المسودة الدميمة كالشهب، فكثير منهم قُتلوا، وكثير غرقوا في اليم، وكثير شابهوا الأموات وهم يهربون. وهربت الحواس من بطون دماغهم، كأنه خدرت أعضاؤهم كلها أو هم مفلوجون. وأقرّ الله أعين المسلمين برؤية رايات أنصارهم، ودُقّقت "الخالصة" على وجه الأرض كالعروق الصغار المنتسجة على سطح جلد البعوضة، وتَراءَوا كالــمغشي عليه من الموت، وتيقنوا أنهم سيوبقون. وكان المسلمون يدعون لقاتلي "الخالصة" قائلين: جُزيتم خيرًا، ووقيتم ضَيرًا، إنكم محسنونا، وإن كفرنا فإنا ظالمون. فمحا الله بأيديهم اسم "الخالصة" من تحت السماء، واستأصلهم من أرضهم، ورفع مؤونتهم من خلقه، فما ترى منهم من أثر، كأن الأرض ابتلعتهم، فيا للعجيبة أيها الناظرون!

والآن نقص عليكم قليلا من حالات هذا القوم الذي جعله الله للمسلمين أواصِرَ رحمه، وأرسلهم لنا كالناصر الحارد، أو المغنَم البارد، ليجزي المؤذين الــملطّين جزاء أعمالهم، ويؤمِّن قوما كانوا

يخوفون. وإني أرى أن أذكرهم بتذكرة مميزة على حدة، منـــزهة من مشاركة ذكر "الخالصة"، إكراما لنعمة الله تعالى، لعل الله يجـــعلنا من الذين يعظمون نعماءه ويشكرون، ولأتّبع سبيل السيد ﷺ الذي سنّ الشكر للناس وقال: من لم يشكر الناس فلم يشكر الله، ونستكفي به الافتتانَ بإطراء في مدح، أو إغضاء عند قدح، ولا نقول إلا الحق، فليشهد الشاهدون.

ذكر الدولة البرطانية وقيصرة الهند

جزاها الله عنا خير الجزاء

اعلموا أيها الإخوان.. أننا قد نجونا من أيدي الظالمين، في ظل دولة هذه المليكة التي نمّقْنا اسمها في العنوان، التي نضَرنا في حكومتها كنضارة الأرض في أيام التَّهْتان. هي أعزّ من الزَّبّاء بملكها وملكوتها، اللهم بارك لنا وجودها وجودها، واحفَظْ مُلكها من مكائد الروس ومما يصنعون. قد رأينا منها الإحسان الكثير، والعيش النضير، فإن فرّطنا في جنبها فقد فرطنا في جنب الله، وإن شر الدواب عند الله الأشرار الذين يؤذون المحسنين، ويُتْبِعون المريحين، فالله يضع الفأس على أشجار حياتهم فهم يُقطعون.

أيها الناس.. إنا كنا قبل عهد دولة هذه المليكة المكرمة مخذولين مطرودين من كل طرف، لا نعرف سكنا، ولا نملك مسكنا، وكانت "الخالصة" يخطفون أموالنا خطفة الباشقِ، ثم يمرُقون مروقَ السهم الراشق وينسِلون. وكنا كالذين في المعامي والموامي يُستفردون، ومِن لظى الغربة يتأججون. فنجانا الله من هذه البلايا

كلها، وأعاننا بقوم ذي الوجه البدري، واللون الدري، فعادت بقدومهم أيام رَوحنا وريحاننا، ورأينا بهم شكل أوطاننا وإخواننا، وأيدوا ونصروا وقاموا لإيطاننا، فدخلنا بعد عُمرٍ في الذين يروَّحون. وظهَرنا برؤية راياتهم ظهور الشمس بالصباح، وتقوينا بعناياتهم تقوي الأجسام بالأرواح، وودَّعْنا بقدومهم أبا غمرة وأبا عمرة، كان قد أضرم في أحشائنا الجمرة، وصرنا من الذين يعيشون بأرغد عيش، وبنوم الأَمَنةِ ينامون.

وأول ما لَقِفْنا من آلائهم، وثقِفنا من نعمائهم، هو الأمن والنجاة من تطاول اللّيام وظلم عبدة الأصنام، فإنهم آمنونا من كل خوف، وجبروا بالنا، وأزالوا بلبالنا، فدخلنا الجنة بعد ما كنا من الذين هم يعذَّبون. وصرنا في هذا العهد المبارك من أرباب البضاعة، وأولي المكسبة بالصناعة، ومن الذين يتنعمون. وأما في عهد "الخالصة" فكانت تجاراتنا عرضة للمخاطرات، وزروعنا طُعمة للغارات، وصناعاتنا غير فاضلة الأقوات، ومع ذلك محدودة الأوقات، وكان انسلاكنا في أعوان رياستهم وعمّالهم وعَمَلتهم وحفدتهم، تمهيدا للغرامات، وإرهاصًا لأنواع التبعة والعقوبات. وكنا كشيء يقلّب في يوم مائة مرة، ما ندري أين نكون غدا، أفي الأحياء أو في الذين يُشغَبون ثم يُقتلون.

فالحمد لله الذي بدَّلَنا من بعد خوفنا أمنا، وأعطانا مليكة رحيمة كريمة، ما نرى في عمالها سطوة المتحكمين، ونَضْنضة

اللادغين العاضّين، بل هم على الضعفاء يرحمون. ونحن تحت ظلهم نقتحم الأخطار، ونخوض الغِمار لندرك الأوطار، ومع ذلك كنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وإن اتفق أن تركنا البيوت عورة، وفارقنا الديار فجأة، ما كان أن يمسّنا من سوءٍ، بل كُنا في أمن من كل حرامي وسارق كأنه لم نَرُمْ وَجارَنا، ولا ظعنّا عن الفِنا وجارِنا، فكيف لا نشكر أيها الغافلون؟

إنهم أعطونا حرية تامة في إشاعة الدين، وتأليف الكتب وإقامة البراهين، والوعظ ودعوة الخلق إلى الإسلام، وفي الصوم والصلاة، والحج والزكاة. وأكثر قضايا الشريعة إلى الشريعة يردّون، ويستفتون من علماء الإسلام في معاملات المسلمين ولا يعتدون. ويفتشون عند كل حكم وقضاء، وفصل وإمضاء، ولا يستعجلون. وإذا حضر محاكماتهم المسلمان يرغّبونهم في شورى المسلمين، ويعظونهم ليقبلوا حَكَمًا حَكَمًا من أهلهما، وإذا قبلوا فيفرحون. وظهرت في أيامهم علوم الإسلام، وسنن خير الأنام ﷺ، ولا ينكرها إلا المتعصبون. وكم من مدارس عمروها، وأشاعوا أنواعَ الفنون، وأخرجوا كل ما كان كالمدفون. ورتّبوا فيها قواعد الامتحان، ليكرم الطالب أو يهان. ولا شك أنهم أحسنوا ضوابط التعليم، وأكملوا طرق التفهيم، وملكوا في هذا الأمر كلَّ زَنْدةٍ متعسّرة الاقتداح، وكلَّ قَلعةٍ مستصعبة الافتتاح، ومع ذلك مؤونة هذا التعليم قليلة، وأيامها معدودة، وفوائدها جليلة، فليغبط الغابطون.

ولعمري إن هذا القوم قوم أرسله الله لنا ولخيرنا، أبادوا من أبادنا، وقلدوا بالنعم أجيادنا، ووجب علينا شكرهم بالقلب واللسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ فليتلقه المسلمون بالإجلال والإعظام، ويحملوا نير طاعتهم على كاهل المَبَرّة والإكرام، ومن عصاهم منا أو خرج عليهم أو حاربهم فأولئك الذين اعتدوا حدود الله ورسوله، وأولئك هم الجاهلون. وحرامٌ على المؤمنين تجديفهم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم، وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنة أن يعصي في المعروف ملكا يحفَظ عرضَه وماله، ويتحامى أهلَه وعياله، ويُفشي الإحسان، ويُذهب الأحزان، وينشئ الاستحسان، فخذوا الفتوى أيها المستفتون. فأذنوا بحكم الله ولا تميلوا إلى جذبات النفس، ولا تأذنوا بآراء العلماء الذين يفتون بغير علم فيَضلون ويُضلون. إننا لقد عاينّا آلاء كثيرة ونعماء كبيرة من قيصرة الهند، فكيف ننساها ونكفر بها، وإن الله لا يرضى لعباده أن يكفروا وهم منعمون. لا ريب في أن القيصرة أحد جناحي المسلمين، وحافظة آثار الإسلام، ومن الذين هم يحسنون. وُجودها لنا بركة، وَجودها لنا مُزْنة، ليست على أذيتنا براضية، وقد عصمها الله من ظلم وتغاضٍ، آوت أقوامًا متفرقة في ذيلٍ فضفاضٍ، كل حزب بعنايتها فرحون.

وأما فساد قسيسين وتطاولهم وهبوب سمومهم، وشيوع ضلالات الفلاسفة وانتشار علومهم، فليس فيها دخل هذه المليكة

مثقال ذرة، وهذه الدولة برية من الظن بحمايتها، بل هذه نتائج حرية قد أُعطي لكل قوم نصيب تام منها، وما أعطى قانون القيصرة حقا زايدا للقسيسين على المسلمين، بل سواهما في ذلك، فلِمَ يرتاب المرتابون؟ ومن فهم أن القسيسين شعبة من شعب هذه الدولة وأنهم يعظون بأمر القيصرة فقد ضل ضلالا بعيدًا، وصار من الذين يظلمون.

أتمنع القيصرة من إشاعة دين الإسلام؟ وكأيّن من قومها.. ومن نواح دار دولتها.. أسلموا، وأُسّس المساجد فيها وعمرت، فما لكم لا تفهمون؟ وعناياتها ليست مختصة بقوم دون قوم، ذلك ظن الذين يقنَعون على خيالات سطحية، وهم عن حقيقة الأمر غافلون. انظروا إلى آثار فيضها! كيف أقامت في كل بلدة أندية الإفادة، فمنها أندية الأدب، ومنها أندية سياسة المدن، ووشّحتْها بشورى الحكماء والعقلاء، وأجرت من العلوم أنهارًا، وفتحت للطلباء مدارس، وهمّنت لفقرائهم درهما ودينارًا، وأعانتهم إدرارًا، وطالما داومت على ذلك، فاشكروا لها أيها المسلمون، وادعوا الله أن يديم عز هذه المليكة الكريمة، وينصرها على الروس المنحوس، ويُدخلها في الذين آمنوا بالله ورسوله، ويعطيها خير الكونين، ويجعلها من الذين أُوتوا حظ الدارين ويسعدون.

يا قيصرة الهند.. وُقيتِ التَّلَفَ، وأُنسيتِ كلَّ رُزْء سلَف، قد بذلتِ في إقامة الأمن جهد المستطيع، ووسّعت الحرية غاية التوسيع،

ونجيت المسلمين من هموم ناصبـــة، وأخرجت لهم أصداف درر ناضبة، ورأينا منك راحة القلوب، وقرة الأعين وتوديع الكروب، فواهًا لك لو كنت من الذين يُسلِمون.

جزاك الله عنا خير الجزاء، وأعطاك ما في قلبك من التمني. لا ينسى نعماءك ذرية المسلمين، ولا يمحى اسمك عن دفاتر الفُرقانيين. ينقطع الزمان ولا ينقطع ذكر مآثرك، فطوبى لك أيتها المحسنة إلى الذين كانوا يُقمَعون.

أيتها المليكة المكرمة.. إني فكرت في نفسي في كمالاتك، فوجدتك أنك حاذقة.. يمر رأيك في شعاب المعضلات مرَّ السحاب، وتزِفّ مداركُك في الغامضات كزفّ العقاب، ولك يد طولى في استنباط الدقائق، ومآثر غراء في تفتيش الحقائق، وأنت بفضل الله من الذين يصيبون في استقراء المسالك ولا يُخطُون. أنت يا مليكة، تستشفّين كل جوهر نقي، وتستنبطين دقائق المَعْدِلة بفكر دقيق وذهن ذكي، وإن لك في هذه اللياقة مآثرَ حلوَ المذاقة، مليحَ السياقة، ويحمدك المحمودون. فالآن قد أُلقيَ في بالي، بعد تصور كمالاتك وحسن صفاتك، التي تضوعت ريحها في العالم، أن أخبرك من أمر عظيم، ليرتفع به قدرك عند رب كريم. وما أذكره إلا بفورة إخلاصي، لأن إخلاصي قد اقتضى أن أدعوك إلى خيرك، ولا أُلغي لوازم شكرك، وإنما الأعمال بالنيات، وبصدق النية يعرف

المخلصون. وما كان لمخلص أن يستشعر أمرا فيه خير محسنه، بل يستعرض متاعه له ولا يكون من الذين يكتمون.

أيتها المليكة الكريمة الجليلة.. أعجبني أنك مع كمال فضلك، وعلمك وفراستك، تنكرين لدين الإسلام، ولا تُمعِنين فيه بعيون التي تمعنين بها في الأمور العظام. قد رأيت في ليلٍ دجى، والآن لاحت الشمس.. فما لك لا تَرَينَ في الضحى؟

أيتها الجليلة، اعلمي - أيدك الله - أن دين الإسلام مجمع الأنوار، ومنبع الأنهار، وحديقة الأثمار، وما من دين إلا هو شعبته، فانظري إلى حِبره وسِبره وجنّته، وكُوني من الذين يُرزقون منه رزقًا رغدًا ويرتعون. وإن هذا الدين حي مجمع البركات، ومظهر الآيات، يأمر بالطيبات، وينهى عن الخبيثات، ومن قال خلاف ذلك أو أبان فقد مان، ونعوذ بالله من الذين يفترون. فبما إخفائهم الحق وإيوائهم الباطل لعنهم الله ونزع من صدورهم أنوار الفطرة، فنسُوا حظهم منها، وفرحوا بالتعصبات وما يصنعون.

أيتها المليكة.. إن هذا القرآن يطهّر الصدور، ويلقي فيها النور، ويُري الحبور الروحاني والسرور، ومن تبعه فسيجد نورا وجده النبيون. ولا يلقى أنواره إلا الذين لا يريدون عُلُوًّا في الأرض ولا فسادا، ويأتونه راغبا في أنواره، فأولئك الذين تفتح أعينهم، وتُزكّى أنفسهم، فإذا هم مبصرون. وإني بفضل الله من الذين أعطاهم الله من أنوار الفرقان، وأصابهم من أتم حظوظ القرآن، فأنار قلبي

ووجدتْ نفسي هداها، كما يجد الواصلون. ثم بعد ذلك أرسلني ربي لدعوة الخلق، وآتاني من آيات بينة، لأدعو خلقه إلى دينه، فطوبى للذين يقبلونني ويذكرون الموت، أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتها يؤمنون.

أيتها المليكة الكريمة.. قد كان عليك فضل الله في آلاء الدنيا فضلا كبيرا، فارغبي الآن في ملك الآخرة، وتوبي واقنتي لرب وحيد، لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، وكبّريه تكبيرا. أتتخذون من دونه آلهة لا يخلُقون شيئا وهم يُخلقون؟ وإن كنت في شك من الإسلام فها أنا قائم لإراءة آيات صدقه. وهو معي في كل حالي، إذا دعوته يجيبني، وإذا ناديته يلبيني، وإذا استعنته ينصرني، وأنا أعلم أنه في كل موطن يعينني ولا يضيعني. فهل لك رغبة في رؤية آياتي، وعيان صدقي وسدادي، خوفا من يوم التنادي؟

يا قيصـــرة، توبي توبي، واسمعي اسمعي! بارك الله في مالك، وكُلِّ ما لك، وكنت من الذين يرحمون. فإن ظهر كذبي عند الامتحان، فوالله إني راضٍ أن أُقـــتَل أو أُصلَب أو تُقطَع أيدي وأرجلي، وأُلـــحَق بالذين يُذبحون. وإن ظهر صدقي فما أسأل أجرًا منك، إلا رجوعك إلى الذي خلقك، وربّاك وأعزك، وآتاك كل ما سألت. فاسمعي دعوتي، يا مليكة الممالك العظيمة وقيصرةَ الهند، ولا تكوني من الذين يشمئز قلوبهم عند ذكر الحق ويعرضون.

أيتها القيصرة الكريمة الجليلة – أذهب الله أحزانك، وأطال عمرك وعمر فلذ كبدك، وعافاك وحفظك من شر الأعداء والحسداء – إني كتبت هذه الوصايا خالصا لله رحما عليك وعلى عقباك، وأدعو لك بركات الليل وبركات النهار، وبركات الدولة وبركات المضمار.

يا مليكة الأرض.. أسلِمي تسلَمين.. أسلمي متَّعك الله إلى يوم التنادي، وسلِمت وحُفظت من الأعادي، ويحفظك من الله الحافظون.

أيتها المليكة الكريمة.. أنا امرؤ جذبه الله تعالى من الدنيا إلى الآخرة، وما أسأله من هذه الدنيا إلا رغيفين وكوزة ماءٍ، وصرف قلبي من أهواءٍ، لا أريد علوًّا ولا مزية في الدنيا ولا زينتها، وأريد أن أكون بالذين يُبسط لهم سُرُر في الجنة ومن نعمائها يُرزقون، وفي رياض حظيرة القدس يرتَعون.

أيتها المليكة.. أنا أحد من المسلمين، رزقني الله عرفانه، وأعطاني نوره وضياءه ولمعانه، وأظهر عليّ ملكوت السماوات وحَبّبها إلى بالي، وأراني ملك الأرض وكرّهه إلى قلبي وصرف عنه خيالي، فاليوم هو في أعيني كجيفة أو أَنتَنَ منها، وكذا كل زينة الحياة الدنيا والمال والبنون.

وفي آخر كلامي أنصح لك يا قيصرة، خالصًا لله.. وهو أن المسلمين عضدك الخاص، ولهم في مُلكك خصوصية تفهمينها، فانظري إلى المسلمين بنظر خاص، وأقرِّي أعينهم، وألِّفي بين

قلوبهم، واجعلي أكثرهم من الذين يقرّبون. التفضيل.. التفضيل! التخصيص.. التخصيص! وفي هذه بركات ومصالح. أَرْضيهم فإنك وردتِ أرضهم، وداريهم فإنك نزلتِ بدارهم، وآتاك الله ملكهم الذي أمروا فيه قريبًا من ألف سنة مما تعدون. فاشكري ربك وتصدقي عليهم، فإن الله يحب الذين يتصدقون. الملك لله، يؤتي من يشاء، وينـــزع ممن يشاء، ويطيل أيام الذين يشكرون.

أيتها المليكة المكرمة.. لا شك أن قلوب مسلمي الهند معك، ولا أستنشق منهم ريح الفساد، وما أرى فيهم نار العناد، وإنهم رجلك وخيلك، المستعدون لفداء النفس وأداء شرائط الانقياد، والحاملون لك جميع شدائد القُنن والوِهاد، بل هم أول خدمكِ في مواطن الإقدام والانبراء، وجوارحك في مواضع الفصل والإمضاء. إشارتك لهم حكم، وطاعتك لهم غنم. لن تَرَي منهم غدرا ولا عذرا. ولكنهم يا قيصرة الهند قومٌ كان لهم شأن، وكانت فيهم سرر وتيجان، وكانوا يحكمون على عبدة الصنم كالرعاة على الغنم، فقلِّب أيامهم من سوء أعمالهم، وظُلموا من أيدي "الخالصة" وإخوانهم، وكانوا يستشرفون وقت حكومتك كاستشراف الصائمين هلال العيد، ويرقُبون عنايتك رُقْبَة الحبلى ولادة الابن السعيد، وكانوا بقدومك يستفتحون. وقد مضت عليهم أيام كانوا في حُللِ إمارات، وبعصيٍّ اختيارات، فيلوعهم في بعض الأوقات

ادّكارُ هذه الدرجات، فإن قلع العادات من المشكلات. وما قلت لك إلا نصحًا وإنما الأعمال بالنيات.

ووالله إن الخير كله في إكرامهم، وردِّ عزهم إليهم ببعض المناصب والعطيات، وما أرى خيرًا في حيل استيصالهم وقتلِهم كالحيات، وما كان لنفس أن تموت أو تنفى من الأرض إلا بحكم رب السماوات. فأشفقي عليهم أيتها المليكة الكريمة المشفقة – أحسن الله إليك – واعفي عني إن رأيت مرارة قولي، فإن الحق لا يخلو من المرارة، والعفو من كرام الناس مأمول.

إني أرى المسلمين قد مسّهم البؤس والافتقار، وما بقي في بيوت ذرية الأمراء إلا اللَّبِن والأحجار. سقطت العمائم عن الرؤوس، وما بقي للرهن غير الأباريق والكؤوس. كانوا في وقت ذوي حواشٍ وغواشٍ، ومتاعٍ وقماش، واليوم لا أرى حفدتَهم إلا جوارحهم، وأراهم من تقلب الأيام كالسكارى، وما هم بسكارى، ولكن غشيهم من الغم ما يغشى الناس عند ازدياد الاعتياص، وانسدادِ طرقِ المناص. وإني أرى أنك كريمة جليلة، ومثلك لا يوجد في الملوك. وقد وهبك الله حَزامةً وانبعاثًا، تواسين رعاياك بالتعب الشديد ولا تطيعين راحة إلا حثاثا، وتستغرقين أوقاتك في تفقد الرعايا وفكر مصالحهم، وتختارين النصب لعل الخلق يستريحون. وظني أنك قد قلت لنائبيك في الهند أن يفضّلوا شرفاء المسلمين على غيرهم، وينظروا إليهم بإعزازٍ خاصٍ، ويقربوهم بخصوصية، ولكن

النائبين سوَّوا الأمر، وما رعوا مصلحة إعزاز المسلمين حق رعايتها، بل ما خطر ببالهم أن ينظروا إلى أطمارهم ويسعفون.

هذا ما قلت شيئًا من حال مسلمي الهند، وأما عبدة الأصنام الذين يقولون إننا "هندو" و"آرية"، فهم قوم أنفدوا أعمارهم كالعبيد والحفدة، ومرت عليهم قرون وهم كمجهول لا يعرف، أو نكرة لا تتعرف. وتعرفين أيتها المليكة الجليلة أنهم مسلوبة الطاقات، ومطرودة الفلوات من دهر طويل. جلودهم قد وُسمت، وجنودهم قد حُسمت، وزمام نفوسهم قد ضُفر، وظهر عزمهم قد كُسر، فيمشون إلى ما سيقوا ولا يعتذرون، ولا يريدون عزة، وفي قلوبهم جُبن الغلْمة، فهم لا يبسُلون. والسر في ذلك أنهم من حُقُب متلاحقة مطيّةُ خدمة، لا أهل حكومة، ومعتاد فقر ومسألة، لا من أهل عزة ودولة. انتابت الملوك عليهم من غير قومهم فهم به معتادون. مَثل المسلمين كمثل ماء لا يجري إلا إلى أرضٍ غورٍ ذات حطوط، ومثل عبدة الأحجار كقوم لوط، أو كحمير احتجتِ لسَوقها إلى سوط، أو عصا مخروط. تلك عظام نخرة، وهم قوم كانوا عرجوا ويعرجون.

هذا ما رأيت، فقلت نصحا لله، وإخلاصا في حضرتك، والأمر إليك، وإنا تابعون.

الخاتمة

في بعض الحالات الخاصة التي هي مفيدة للمستطلعين، الذين يتمنون زيادة المعرفة في سوانحي وسوانح آبائي وسوانح بعض إخواني في الدين

الحمد لله الذي جعل العلماء الروحانيين المحدَّثين وَرَثَةَ النبيين، وأدبهم فأحسن تأديبهم، وأزال كدوراتهم كلها، وجعلهم كالماء المعين. وعلّمهم فصفّى علومهم، وعرّفهم فأتمّ معارفهم، وبلّغهم إلى منارات حق اليقين. ووفّقهم فدَقَّ لوازم التوفيق في نيّاتهم وأعمالهم، وأفعالهم وأقوالهم، حتّى تَزكَّوا وتَراءَوا كسبيكة الذهب بلمع مبين. وشرح صدورهم، وأكمل نورهم، وجعل وجهه حبورهم وسرورهم، وجعلهم من غيره منقطعين. ورفع مقامهم، وثبّت أقدامهم، ونوّر أفهامهم، وطهّر فراستهم وإلهامهم، وأعطى جواهر السيوف أقلامهم، ولمعات الدر كلامهم، وآمنهم من كل خوف، وأعطاهم من كل شيء، فتبارك الله أكرم المعطين.

والصلاة والسلام على السيد الكريم الجليل الطيب، خاتم الأنبياء وفخر المرسلين، الذي سبق الأولين والآخرين في الاهتداء،

والاصطفاء والاجتباء، والترحم على عباد الله، حتى سمي ببعض أسماء رب العالمين. لا شرف إلا وهو الأول فيه، ولا خير إلا وهو الدال عليه، ولا هداية إلا وهو منبعها، ومن ابتغى الهدى ممن سواه فهو من الهالكين.

أما **بعد**.. فأرى أيها الإخوان أن أفصل لكم قليلا من بعض حالاتي الخاصة، وحالات آبائي، لتزدادوا معرفة وبصيرةً، وما توفيقي إلا بالله الذي أنطقني من روحه، هو ربي ومحسني ومعلمي، وهو الذي نورني بأنوار اليقين.

فاعلموا يا إخوان أن اسمي **غلام أحمد**، واسم أبي غلام مرتضى، واسم أبيه عطا محمد، وكان عطا محمد ابن گُل محمد، وگُل محمد ابن فيض محمد، وفيض محمد ابن محمد قائم، ومحمد قائم ابن محمد أسلم، ومحمد أسلم ابن محمد دلاور، ومحمد دلاور ابن إله دين، وإله دين ابن جعفر بيگ، وجعفر بيگ ابن محمد بيگ، ومحمد بيگ ابن عبد الباقي، وعبد الباقي ابن محمد سلطان، ومحمد سلطان ابن ميرزا هادي بيگ المورث الأعلى. فذلك اسمي وهذه أسماء آبائي، غفر الله لنا ولهم وهو أرحم الراحمين.

وإن استطلعتم علاماتٍ لا بد منها في إيصال المكاتيب إليّ.. فاكتبوا هكذا على لفافة مكتوبكم.. أعني بذلك: قاديان.. ضلع كورداسبوره .. قسمة أمرتسر.. ملك فنجاب من ممالك هند،

واكتبوا عليه اسمي: "ميرزا غلام أحمد قادياني"، يصلني إن شاء الله تعالى، وهو خير الموصلين.

والآن أبين لكم من بعض واقعات أرى في تبيينها خيرا وبركة، وتفهيم ما لا تعلمون بعلم اليقين.

فاعلموا أيها السّادة أنّ آبائي - كما ذكرت فيما مر - كانوا من عظماء الحراثين، وكانت صناعتهم الفلاحة، وكانوا من أهل الإمارة والقرى والأرضين. وكانوا من أكرمِ جرثومة، وأطهرِ أَرومة، ذوي فضل ووجاهة، وسَيدودة ونباهة، بُناة المجد وأرباب الجد ومن المقبولين. وكانوا في زوايا هذه الأرض خبايا وبقايا من الأمراء الصالحين. وبعضهم كان من مشاهير المشايخ ونادرة الدهر في التزام دقائق العفة وأنواع الصالحات، وصاحب الأوقات، المشهود بالكرامات والآيات وخرق العادات، ومن المتعبدين المنقطعين. وكانوا في هذه الأرض ثاوين في الكفرة الفجرة، فصُبّت عليهم ما صبت، وقد ذكرناها من قبل للناظرين. وكنا ذرية ضعفاء من بعدهم ومن المستضعفين.

ولما مكر "الخالصة" مكرهم، وأخرجوا آباءنا من ديارهم، توفي جدي في الغربة، وسمعت أنه مات وهو من المسمومين. وبقي أبي يتيما غريبا مسافرا خاوِيَ الوفاض، بادِيَ الإنفاض، مضروبَ النوازل كالملمّ في الليل المدلهمّ، يجوب طرقات البلاد مثل الهائم ما

يدري ما الشمال ولا اليمين. وكان شغل أبي في تلك الأيام مكابدة صعوبة الأسفار أو مطالعة الأسفار، وسمعت منه – غفر الله لـــه – مرارا أنه كان يقول: كل ما قرأت قرأته في أيام المصائب والغربـــة والتباعد من الدار. وكان يقول مرارا إني جربت الخاص والعام كما يجرب الحائر الوحيد، ورأيت مَكارهَ كنتُ منها أَحيد، وكان مـــن المزؤودين. فكان أبي طالما سار كمستهام ليس له قيام، لأنه كـــان أُخرجَ من أرض الآباء، وصُدّ عن الانكفاء، وكان عرضة لنـــزوات الظالمين وإعنات المؤذين وغِيل المغتالين وسلبِ الـــسالبين، وطُعمـــةً للمغيرين وأسيرًا في أكف الضائمين. ثم بعد تراخي الأمد وتلاقـــي الكَمَد، قصَد "كشميرَ" يستقري أسباب المعاش، لعل الله يدرأ بلاءه، ويدفع داءه، ويأتي قضاؤه بأيام الاطْرِغْشاش، ويكون من المطعمين.

وقد اتفق في تلك الأيام أن ربي ألبسني خلعة الوجود، ونقلني من زوايا الكتم إلى مناظر الشهود، وصرت على مسقط رأســـي مـــن الساجدين. وكانت هذه هي الأيام التي بدل الله أبي من بعد خوفـــه أمنا، ومن بعد عسره يسرا، وصار من المنعمين. وأوى له الـــوالي، ورقّ قلبه لمصيبته ومِن غِيَرِ الليالي، فلما كلّمه ورأى الوالي ما أعطاه الله من العلم والعقل والطبع العالي، شهد توسّمه بأنـــه مـــن أبهـــى اللآلي، فصبا إلى الإسعاف والاختـــصاص، والتـــسليك في زمـــرة الخواص، وقال: لا تخف، إنك اليوم من أعواننا المكرمين. وكذلك

مكّن الله أبي وحبّبه إلى أعينهم، ووهب لــه عزة وقبولا وميــسرة، ونظر إليه إنعامًا ومياسرة، وكان هذا فضل الله ورحمته وهو أرحــم الراحمين.

وسمعت أمي تقول لي مرارًا: إن أيامنا بُدّلت من يوم ولادتــك، وكنا من قبل في شدائد ومصائب، وذا أنواع كروبٍ ومحنٍ، فجاءنا كل خير بمجيئك، وأنت من المباركين.

وكان أبي يعرج من مرتبة إلى أخرى، ومن عالية إلى عليا، حــتى عرج إلى معارج الإقبال، وخلع الله عليه من خُلَعِ الإكرام والإجلال، وما أَلَتَه من شيء، وصار من المتمولين.

ثم غلب عليه تذكار الوطن، والحنين إلى المــسارح المهجــورة والعطن، فقوّض خيام الغربة والغيبة، وأسرجَ جواد الأَوبة إلى الأهل والعشيرة، ورجع سالــمًا غانــمًا إلى العِترة بنضرةٍ وخضرةٍ ومتاعٍ وأثاثٍ، رحيبَ الباع، خصيب الرِّباع. وكان ذلك فعل الله الــذي أذهب عنّا حزننا، وأماط شَجننا، ومَنّ علينا، وتولى وتكفل وأحسن إلينا، وهو خير المحسنين.

ثم عزم أبي على أن يسبر بخته في الزراعات، لينجو من السفر المبرِّح، والبين المطوِّح من الأهل والبنين والبنات، فاستحسن لنفسه اتخــاذ الضياع، والتصدي للازدراع، فأحمدَ بفضل الله معيشتُه، واســترغدَ فيها عيشتُه، ورُدّ عليه قليل من القرى، التي غُصبت من الآبــاء في

زمن خلا. وقواه الله بعد ضعف المريرة، وبارك الله لـــه في أشـــياء كانت من قبل نَكِدَ الحظيرة. وكل ذلك كان من فضل الله ورحمته، وإن خفي على المحجوبين، ليتم قول رســـوله ﷺ إن **الموعــود** الآتي يكون من الحارثين.

هذا قليل من سوانح أيام ولادتي وصغر سني. ولمـــا ترعرعـــتُ ووضعتُ قدمي في الشباب، قرأتُ قليلا من الفارسية، ونبذة مـــن رسائل الصرف والنحو وعدة من علوم تعميقية، وشيئًا يسيرًا مـــن كتب الطب. وكان أبي عَرّافًا حاذقًا، وكانت لـــه يد طولى في هذا الفن، فعلمني من بعض كتب هذه الـــصناعة، وأطـــال القـــول في الترغيب لكسب الكمال فيها، فقرأت ما شاء الله، ثم لم أجد قلـــبي إليه من الراغبين. وكذلك لم يتفق لي التوغـــل في علـــم الحـــديث والأصول والفقه إلا كطلّ من الوَبْل، وما وجدتُ بالي مائلا إلى أن أشـــمّر عن ساق الجد لتحصل تلك العلوم، وأستحـــصل ظـــواهر إسنادها، أو أقيم كالمحدثين سلسلة الأسانيد لكتب الحديث.

وكنت أحب زمرة الروحانيين. وكنت أجـــد قلـــبي مـــائلا إلى **القرآن** ودقائقها ونكاتها ومعارفها. وكان القرآن قد شغفني حبـــا، ورأيت أنه يعطيني من أنواع المعارف وأصناف الأثمار لا مقطوعـــة ولا ممنوعة، ورأيت أنه يقوي الإيمان ويزيد في اليقين.

ووالله إنه **دُرّة يتيمة**. ظاهره نور، وباطنه نور، وفوقه نور، وتحته نور، وفي كل لفظه وكلمته نور. جنّة روحانية، ذُلِّلتْ قُطوفها تذليلا، وتجري من تحته الأنهار. كل ثمرة السعادة توجد فيه، وكل قبس يُقتبس منه، ومن دونه خَرْطُ القَتاد. موارد فيضه سائغة، فطوبى للشاربين. وقد قُذف في قلبي أنوار منه ما كان لي أن أستحصلها بطريق آخر.

ووالله لولا القرآن ما كان لي لطف حياتي. رأيتُ حسنه أزيد من مائة ألف يوسف، فملت إليه أشد ميلي، وأُشْرِبَ هو في قلبي. هو رباني كما يربى الجنين. وله في قلبي أثر عجيب، وحسنه يراودني عن نفسي. وإني أدركت بالكشف أن حظيرة القدس تسقى بماء القرآن. وهو بحر مواج من ماء الحياة، من شرب منه فهو يحيا بل يكون من المحيين. ووالله إني أرى وجهه أحسن من كل شيء. وجه أُفرِغَ في قالب الجمال، وأُلبس من الحسن حلّةَ الكمال. وإني أجده كجميل رشيق القد، أسيلِ الخد، أُعطيَ له نصيب كامل من تناسب الأعضاء، وأُسبغت عليه كل ملاحة بالاستيفاء، وكل نور وكل نوع الضياء. وضيئٌ.. أعطي له حظ تام من كل ما ينبغي في المحبوبين من الاعتدالات المرضية، والملاحات المتخطفة، كمثل حَوَرِ العيون، وبَلَجِ الحواجب، ولَهَبِ الخدود، وهَيَف الخصور، وشَنَب الثغور، وفَلَجِ المباسم، وشمم الأنوف، وسَقَمِ الجفون، وتَرَفِ البنان،

والطُّرر المزينة، وكل ما يُصبي القلوبَ ويسرّ الأعين ويُستملح في الحسين.

ومن دونه كل ما يوجد من الكتب، فهي نَسَمة خِداجٍ، أو كمضغة مسقَطة غيرِ دِماج، إن كانت عين فلا أنف، وإن كان أنف فلا عين، وترى وجوهها مكروهة مسنونة ملوَّحة. ومثلها كمثل امرأة إذا كُشف برقعها وقناعها عن وجهها فإذا هي كريهة المنظر جدا، قد رُمي جفنُها بالعَمَش، وخَدّها بالنَمَش، وذوائبها بالجَلَح، ودُررها بالقَلَح، وورِدُها بالبُهار، ومِسكها بالبُخار، وبدرها بالمُحاق، وقمرها بالانشقاق، وشعاعُها بالظلام، وقوتها بالشيب التام. فهي كجيفة متعفنة، نَتنة مُنتنة، تؤذي شامّة الناس، وتستأصل سرور الأعين، يتباكَون أهلُها لافتضاحهم، ويتمنى النظيفون أن يدسّوها في تراب، أو يذبّون عن أنفسهم إلى أسفل السافلين.

فالحمد لله ثم الحمد لله أنه أنالني حظًا وافرًا من أنواره، وأزال إملاقي من درره، وأشبع بطني من أثماره، ومنح بي من النعم الظاهرة والباطنة، وجعلني من المجذوبين. وكنت شابًا وقد شختُ، وما استفتحت بابًا إلا فتحت، وما سألت من نعمة إلا أعطيت، وما استكشفت من أمرٍ إلا كشفت، وما ابتهلت في دعاءٍ إلا أجيبت، وكل ذلك من حبي بالقرآن، وحبّ سيدي وإمامي سيد المرسلين،

اللهم صل وسلم عليه بعدد نجوم السماوات وذرات الأرضين. ومن أجل هذا الحب الذي كان في فطرتي، كان الله معي من أول أمري، حين ولدت وحين كنت ضريعا عند ظِئْري، وحين كنت أقــرأ في المتعلمين.

وقد حُبِّبَ إلي منذ دنوت العشرين أن أنصر الــدين، وأجــادل البراهمة والقسيسين. وقد ألفت في هذه المناظرات مصنفات عديدة، ومؤلفات مفيدة، منها كتابي: "**البراهين**". كتاب نادر ما نُسج على منواله في أيام خالية، فليقرأه من كان من المرتابين. قد سللت فيــه صوارم الحجج القطعية على أقوال الملحــدين، ورميــت بــشهبها الشياطين المبطلين. قد خفض هام كل معاند بذلك السيف المسلول، وتبيّنت فضيحتهم بين أرباب المنقول والمعقول، وبين المنصفين. فيه دقائق العلوم وشواردها، والإلهامات الطيبة الصحيحة والكــشوف الجليلة ومواردها، ومن كل ما يجلّي درر معارف الدين المــتين. ولي كتب أخرى تشابهه في الكمال، منها: الكحل، والتوضيح، والإزالة، وفتح الإسلام، وكتاب آخر سبق كلها ألفته في هذه الأيام، اسمــه: "دافع الوساوس"، هو نافع جدًا للذين يريــدون أن يــروا حــسن الإسلام، ويكفّون أفواه المخالفين.

تلك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين المحبة والمودة وينتفع من معارفها، ويقبَلني ويصدّق دعوتي، إلا ذريةَ البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون.

ولما بلغت أشد عمري وبلغت أربعين سنة، جاءتني نسيم الوحي بِرَيَّا عناياتِ ربي، ليزيد معرفتي ويقيني، ويرتفع حجبي وأكون من المستيقنين. فأول ما فتح عليّ بابه هو الرؤيا الصالحة، فكنت لا أرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وإني رأيت في تلك الأيام رؤيا صالحة صادقة قريبًا من ألفين أو أكثر من ذلك.. منها محفوظة في حافظتي وكثير منها نسيتها، ولعل الله يكررها في وقت آخر ونحن من الآملين.

ورأيت في غُلَواء شبابي وعند دواعي التصابي، كأني دخلتُ في مكان وفيه حفدتي وخدمي، فقلتُ: طهّروا فراشي، فإن وقتي قد جاء. ثم استيقظتُ وخشيت على نفسي وذهب وَهْلي إلى أنني من المائتين.

ورأيت ذات ليلة وأنا غلام حديث السن كأني في بيت لطيف نظيف، يُذكَر فيها رسول الله ﷺ. فقلتُ: أيها الناس، أين رسول الله ﷺ؟ فأشاروا إلى حجرة، فدخلت مع الداخلين. فبشّ بي حين وافيته، وحيّاني بأحسن ما حييتُه، وما أنسى حسنه وجماله وملاحته وتحننه إلى يومي هذا. شغفني حبًا وجذبني بوجه حسين. قال: ما

هذا بيمينك يا أحمد؟ فنظرت فإذا كتاب بيدي اليمنى، وخطر بقلبي أنه من مصنفاتي، قلتُ: يا رسول الله.. كتاب من مصنفاتي. قال: ما اسم كتابك؟ فنظرت إلى الكتاب مرة أخرى وأنا كالمتحيرين، فوجدته يشابه كتابًا كان في دار كتبي واسمه: "قطبي". قلت: يا رسول الله، اسمه قطبي. قال: أرِني كتابك القطبي. فلما أخذه ومسّته يده إذا هي ثمرة لطيفة تسرّ الناظرين. فشققها كما يشقق الثمر، فخرج منها عسل مصفى كماء مَعينٍ. ورأيت بَلّةَ العسل على يده اليمنى من البنان إلى المرفق، كان العسل يتقاطر منها.. وكأنه يريني إياه ليجعلني من المتعجبين. ثم أُلقي في قلبي أن عند أُسْكُفّة البيت ميّت قدر الله إحياءه بهذه الثمرة، وقدّر أن يكون النبي ﷺ من المحيين. فبينما أنا في ذلك الخيال فإذا الميّتُ جاءني حيا وهو يسعى وقام وراء ظهري، وفيه ضعف كأنه من الجائعين. فنظر النبي ﷺ إلي متبسما، وجعل الثمرة قطعات وأكل قطعة منها، وآتاني كل ما بقي، والعسل يجري من القطعات كلها، وقال: يا أحمد.. أعطه قطعةً من هذه ليأكل ويتقوى. فأعطيته، فأخذ يأكل على مقامه كالحريصين. ثم رأيتُ أن كُرسي النبي ﷺ قد رُفع حتى قرب من السقف، ورأيته فإذا وجهه يتلألأُ كأن الشمس والقمر ذُرّتا عليه، وكنت أنظر إليه وعبراتي جارية ذوقًا ووجدًا، ثم استيقظت وأنا من الباكين.

فألقى الله في قلبي أن الميّت هو الإسلام، وسيُحييه الله على يدي بفيوض روحانية من رسول الله ﷺ، وما يدريكم لعل الوقت قريب، فكونوا من المنتظرين. وفي هذه الرؤيا رباني رسول الله ﷺ بيده وكلامه وأنواره وهدية أثماره. فأنا تلميذه بلا واسطة بيني وبينه، وكذلك شأن المحدَّثين.

وكنت ذات يوم فرغت من فريضة المساء وسننها، وأنا مستيقظ ما أخذني نوم ولا سنة وما كنت من النائمين. فبينما أنا كذلك إذا سمعت صوت صَكِّ الباب. فنظرت فإذا المِدَكُّون يأتونني مسارعين. فإذا دنَوا مني عرفتُ أنهم خمسة مباركة.. أَعني عليًّا مع ابنيه وزوجته الزهراء وسيد المرسلين. اللهم صل وسلم عليه وآله إلى يوم الدين. ورأيت أن الزهراء وضعتْ رأسي على فخذها ونظرتْ بنظراتِ تحنن كنتُ أعرف في وجهها. ففهمتُ في نفسي أن لي نسبة بالحسين وأشابهه في بعض صفاته وسوانحه، والله يعلم وهو أعلم العالمين. ورأيتُ أن عليًّا رضي الله عنه يريني كتابًا ويقول هذا تفسير القرآن.. أنا ألفته، وأمرني ربي أن أعطيك. فبسطتُ إليه يدي وأخذتُه. وكان رسول الله ﷺ يرى ويسمع ولا يتكلم كأنه حزين لأجل بعض أحزاني، ورأيته فإذا الوجه هو الوجه الذي رأيتُ من قبل، أنارت البيت من نوره، فسبحان الله خالق النور والنورانيين.

وكنت ذات ليلة أكتب شيئا فنمت بين ذلك، فرأيت رسول الله ﷺ ووجهه كالبدر التام، فدنا مني كأنه يريد أن يعانقني فكان من المعانقين. ورأيت أن الأنوار قد سطعت من وجهه ونزلت عليّ، كنت أراها كالأنوار المحسوسة حتى أَيقَنتُ أني أدركها بالحس لا ببصر الروح. وما رأيتُ أنه انفصل مني بعد المعانقة، وما رأيتُ أنه كان ذاهبا كالذاهبين.

ثم بعد تلك الأيام، فُتحت عليّ أبواب الإلهام، وخاطبني ربي وقال:

"يا أحمد، بارك الله فيك. الرحمن علّم القرآن، لتنذر قومًا ما أُنذرَ آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. قُلْ إني أُمرتُ وأنا أول المؤمنين. يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. إنك اليوم لدينا مكين أمين. أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تعان وتعرف بين الناس. ويعلمك الله من عنده. تقيم الشريعة وتحيي الدين. إنا جعلناك المسيح بن مريم. والله يعصمك من عنده ولو لم يعصمك الناس. والله ينصرك ولو لم ينصرك الناس. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. يا أحمدي أنت مرادي ومعي. أنت وجيهٌ في حضرتي. اخترتك لنفسي. قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبِبْكم الله ويغفِرْ لكم ذنوبكم ويرحَمْ عليكم وهو أرحم الراحمين."

هذه نبذة من إلهاماتي، ومن جملتها إلهام: "إنا جعلناك المسيح بن مريم." **ووالله** قد كنت أعلم من أيام مديدة أنني جُعِلت المسيح ابن مريم، وأني نازلٌ في منـــزله، ولكن أَخفيته نظرًا إلى تأويله، بل مـــا بدلت عقيدتي وكنت عليها من المستمسكين. وتوقفت في الإظهار عشر سنين، وما استعجلتُ وما بادرتُ وما أخبرتُ حِبًّا ولا عـــدوّا ولا أحدًا من الحاضرين. وإن كنتم في شك فاسألوا علماء الهند كم مضت من مدة على إلهامي: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾، أو اقـــرؤوا "**البراهين**".

وكنت أنتظر الخِيَرة والرضاء وأمر الله تعالى حتى تكـــرر ذلـــك الإلهام، ورُفع الظلام، وتواتر الإعلام، وبلغ إلى عـــدة يعلمهـــا رب العالمين. وخوطبت للإظهار بقوله: (فاصْدَعْ بما تؤمر)، وظهـــرت علامات تعرفها حاسة الأولياء وعقل أرباب الاصـــطفاء، وجُلّـــي الصبح، وأكّد الأمر، وشرح الصدر، واطمأن الجنان، وأفتى القلب، وتبين أنه وحي الله لا تلبيس الشياطين.

ثم ما اكتفيت بهذا بل عرضته على الكتاب والسنة، ودعوت الله أن يؤيدني، فدقّق الله نظري فيهما وجعلني من المؤيَّدين. وظهر عليّ بالنصوص البينة، القرآنية والحديثية، أن المسيح بن مـــريم عليه السلام قـــد تُوفي ولحِق بإخوانه من النبيين.

وكنت أعلم أن وفاة المسيح حق ثابت بالنصوص البيّنة القطعية، القرآنية والحديثية، وأعلم أن إلهامي لا غبار عليه ولا تلبيس ولا تخليط، ومع ذلك كان يقيني بأن اعتقاد المسلمين في نزول المسيح حق لا شبهة فيه ولا ريب، فعسُر عليّ تطبيقهما وكنت من المتحيرين. فما قنعت بالنصوص فقط، لأني وجدت في الأحاديث رائحة قليلة يسيرة من دُخْن الاختلاف بظاهر النظر، وإن كانت الدلائل القوية القاطعة معنا وبأيدينا، وكان القرآن معنا كله، بل ابتغيت معرفة تامةً نقية بيضاء التي يتلألأ كل شق من شقوقها وتبلّغ إلى الحق اليقين.

فتضرعتُ في حضرة الله تعالى، وطرحت بين يديه متمنيًا لكشف سر النزول وكشف حقيقة الدجال، لأعلمه علم اليقين وأرى به عين اليقين، فتوجهت عنايته لتعليمي وتفهيمي، وأُلهِمتُ وعُلِّمتُ من لدنه أن النزول في أصل مفهومه حق، ولكن ما فهم المسلمون حقيقته، لأن الله تعالى أراد إخفاءه، فغلب قضاؤه ومكره وابتلاؤه على الأفهام، فصرَف وجوههم عن الحقيقة الروحانية إلى الخيالات الجسمانية، فكانوا بها من القانعين. وبقي هذا الخبر مكتومًا مستورًا كالحَبّ في السنبلة، قرنا بعد قرن، حتى جاء زماننا، واغترب الإسلام، وكثرت الآثام، وغلبت ملة عبدة الصليب، فصالوا على المسلمين بالافتراء والمَين، وأحلُّوا سَفْكَ عُشّاقٍ كانوا كصيد

الحرمَين. فصُبّت علينا مصائب كنا لا نستطيع إحصاءها، وضـــاقت الأرض علينا، وتورمت مُقلتنا باستشراف الناصرين. فـــأراد الله أن يأتي بصبح الصداقة، ويعين طلاب الحقيقة، من الأعـــالي والأداني، بنَضْوِ الوِشاح عن مخدَّرة المعاني، ويشفي صدور المؤمنين. وكنا أحق بها وأهلها لأنا رأينا بأعيننا إطراء المسيح وازدراء المصطفى، ودعوة الناس إلى ألوهيّة ابن مريم وسبِّ خير الورى ﷺ، وسمعنا السبّ مع الشرك والمَين، وأُحرقنا بالنارَين. فكشف الله الحقيقة علينا، لتكـــون النار علينا بردًا وسلامًا، وكان حقا علـــى الله نـــصر المـــضطرين. فأخبرني ربي أن النـــزول روحاني لا جسماني، وقد مضى نظيره في سنن الأولين. وإن الله لا يبدل سنته ولا عاداته، ولا يكلف نفسًا إلا وسعها، وكذلك يفعل وهو خير الفاعلين.

والسر في ذلك أن للأنبياء، عند هبِّ الأهوية المهلكة وابتـــداع المسالك الشاغرة، تدلّياتٍ وتنـــزلات إلى هذا العالم، فإذا جاء وقتُ تدلّي نبي ونـــزوله بمجيء فتنة تؤذيه، يطلب من ربه محط أنـــواره، ومظهر إرادته وأنظاره، ووارث روحانيته، ليكون هذا المظهر لـــه من المنشطين. فيعدّ لـــه ربه عبدًا من عباده، ويلقي إراداته في قلبه، فيكون هذا العبد أشدَّ مناسبة وأقربَ جوهرًا من ذلك النبي، ويشابهه من حيث الهوية المبعوثية مشابهةً تامةً كاملة كأنّه هو، ويكمل مـــا تَزيَّفَ في قومه المخذولين. وذلك سر عظيم من الأسرار السماوية،

ما يفهمه عقول سطحية، ولا يلقّاها إلا الذين أوتوا العلم من عند الله، وما كان لعين لاقت الاعتلال أن تجتلي الهلال، فطوبى للمبصرين.

وقد جرت عادة الله تعالى على أنه لا يكشف قناع الأخبار الآتية من كل جهة إلا في وقتها، ويبقي قبل الوقت بعض إغماضات ومعان مطوية ومستورة مكتومة، ابتلاء للذين يجدون زمان ظهورها، فيفضّ الختم في زمانهم، ليهينهم أو يكرمهم بامتحانهم، وقد مضت سنته في فتنة المسلمين. ولا يرفع الأمان من ذلك،✪ لأن الأمر المقصود يبقى على حاله، مع قرائنه القوية وصفاء زلاله، فلا يتطرق

✪ الأصل المحكم والخفير الأعظم في طرق المكاشفات الذي هو كقانون عاصم من سوء الفهم في تفسير النبوات الواقعة في هذا العالم العنصري علم تأويل الأحاديث الذي يعطى للصديقين. ولا يجوز صرفُ أمرٍ كشفي عن التأويلات المصرحة في هذا العلم إلا عند قيام قرينة قوية موصلة إلى اليقين، لأن هذا العلم إنما جُعل بمنزلة لغة كاشفة لأسرار المكاشفات، أُحكمتْ قواعدها وفُرض اتباعها للمؤمنين. فكما أن اللغات المستعملة الجارية على الألسنة قاضية لحل التنازعات اللغوية في العالم السفلي وحجة قاطعة للمتكلمين، كذلك علم تأويل الأحاديث وقواعده التي رتبها لسان الأزل حكم مسلم لقضاء التنازعات الكشفية، ومن أبى هذا الحكم فقد جار جورا عظيما وهو من الظالمين. مثلا إذا احتذيت حذاء في رؤياك فلا يجوز لك عند تأويله أن تعني من الحذاء ما يُعنى في لغات هذا العالم السفلي، بل يجب عليك أن ترجع إلى لغة وضعها الله لذلك العلم الروحاني، فتؤول الحذاء زوجةً أو وُسْعةَ معاش. فخُذْ هذا السر فإنه ينجيك من آفات المخطئين. منه.

الاختلال إليه، وإنما يجدد الله حلل ظهوره في أعين الناس، ليرى من يعقد حَبْكَ النطاق للرحلة من خريبته كانوا آباؤه فيه ساكنين. والحق أن كل ظن فاسد ينشأ من سوء الفهم، وأما وعد الله فهو يظهر بلا خلاف، والله لا يخلف الميعاد. وكم مِن وعود أسنى لنا ثم أنجزَ لنا كما وعد وهو خير المنجزين. ولعمري، إن السفهاء لم يحفظوا كلام الله كله في أذهانهم، وآمنوا ببعض الآيات وكفروا ببعضها، وجعلوا القرآن والحديث عِضينَ. وأراهم أسارى في سلاسل الاختلافات والتشاجرات، ولو أنهم تفكروا للتطبيق لفتح الله عليهم بابا من أبواب المعرفة، ولكن غضوا وتركوا القرآن مهجورا، فطبع الله على قلوبهم وتركهم ضالين.

أما الدجال فاسمعوا أبين لكم حقيقته من صفاء إلهامي وزلالي، وهو حجة قاطعة ثقِّفت للمخالفين تثقيف العوالي، خذوه ولا تكونوا ناسين أو متناسين.

أيها الأعزة! قد كشف علي أن وحدة الدجال ليست وحدة شخصية، بل وحدة نوعية، بمعنى اتحاد الآراء في نوع الدجالية، كما يدل عليه لفظ الدجال، وإن في هذا الاسم آياتٍ للمتفكرين. فالمراد من لفظ الدجال سلسلة ملتئمة من همم دجالية، بعضها ظهير للبعض، كأنها بنيان مرصوص من لَبِنٍ متحدة القالب، كل لبنة تشارك ما يليها في لونها وقوامها ومقدارها واستحكامها، وأُدخلت

بعضها في بعض، وأشيدت من خارجها بالطين، أو كركبٍ ردِف بعضهم بعضا، وهم - ممتطين شِمِلّةً مُشمعِلّة - يُرَون من شدة سرعتها رجلا واحدا في أعين الناظرين. ونظيره في القرآن خبر الدخان، فإنه كان سلسلة خيالات متفرقة من شدة الجوع، وسمي بشيء واحد وقيل ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾* وهذا سر لا يعرفها إلا العرّافة، وما يُطلّ عليه فهمُ الغبِيّين.

وقد جرت عادة الناس، عربا وعجما، أنهم إذا رأوا كيفية وحدانية في أفراد فيُنزلونها في منزل الواحد، نحو أدوية مختلفة، فإذا خُلط بعضها ببعض، ودُقّ وسُحق وحصل لها مزاج واحد، وأثر واحد، فما عليك من ذنب إن قلت إنه شيء واحد حصل من العجين.

وأنت تعلم أن الناس إذا اجتمعوا في أرض وألقوا فيها مراسي السكون، وحصل لهم نظام تمدني وتعلقَ بعضهم بالبعض تعلقا مستحكما، وتحققَ النسب والإضافات غير قابلة الانفكاك والزوال، واستقرّوا وما أرادوا أن يرتحلوا منها إلى أرض من الأرضين، فإن شئت تسمي مجموعتهم: "بلدة"، وتجري على جماعتهم أحكام الواحد، وما هو واحد في الحقيقة، وما أنت من الملومين. وإن اتفق أنهم جاءوك للقائك فإن شئت قلت: "جاءني البلد"، وذكرتهم كما

* *سورة الدخان: ١١*

يذكر الفرد الواحد، وما يعترض عليك إلا جاهل أو الذي كان من المتجاهلين. فكما أن الأماكن يطلق عليها اسم الواحد مع أنها ليست بواحدة، كذلك لا يخفى على القرائح السليمة، والذين لهم حظ من أساليب لسان العرب ولطائف استعاراتهم، أن أذيال هذه الاستعارات مبسوطة ممتدة جدًا، وليست محدودة في مورد خاص، فانظر حتى يأتيك اليقين.

وعجبت لقوم يزعمون في الدجال أنه رجل من الرجال، ويقولون إنه كان في زمن رسول الله ﷺ وهو إلى الآن من الموجودين. أُفٍّ لهم ولوهنِ رأيهم.. كيف يحكمون! ألا يعلمون أن رسول الله ﷺ قال: أقسم بالله، ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ. يعني بذلك أن الناس كلهم يموتون إلى مضي المائة، وما يكون فرد من الباقين. فما لهم يقرؤون "البخاري" و"المسلم" ثم يضلون المسلمين؟

أيها الأعزة، إن في هذا الاعتقاد مصيبتان عظيمتان قد أزجتا كثيرا من الناس إلى نيران الكفران، ومنعتاهم من مرتع الجِنان، فلا تخطوا صراطكم ولا تكونوا من المتخطين. أُولاهما المصيبة التي قد ذكرت من استلزام تكذيب قول النبي ﷺ الذي أكده بالقسم، فإياكم وسوء الأدب وكونوا من المتأدبين. لا تقدِّموا بين يدي الله ورسوله، ولا تعصوا بعد ما بين لكم رسول الله ﷺ، واعلموا أنه صادق صدوق

ما ينطق عن الهوى.. إن هو إلا وحي يوحى. فاخفضوا جناح الذل، ولا تأبوا قول رسول الله ﷺ إن كنتم صالحين.

والمصيبة الثانية ظاهرة لا حاجة لها إلى البيان. ألا ترون إلى الفرقان وتعليم الرحمن.. كيف أقام الناس على توحيد عظيم ونهاهم عن سَنَنِ المشركين؟ فتفكروا في قلوبكم..كيف يمكن أن يخرج الدجال كما تزعمون، ويحيي الأموات ويري الآيات، ويسخر السحاب والشمس والقمر والبحار، وكان أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون؟ أهذا ما عُلّمتم من القرآن؟ أهذا تعليم الفرقان؟ أهذا الذي سُفك له دماءُ سراة العرب وعظائمِ القريش ببدرٍ وفي كل مصافّ، وهضَمهم المسلمون هَضْمَ مِتلاف؟ اشهدوا ولا تكونوا من الكاتمين. كيف ينسخ تعليم القرآن وينبذ كالقشر، ويفيء المَنْشَرُ المَطْوِيّ إلى النشر، ويجيء الدجال المفاجئ لتضليل نوع البشر؟ لم تخرجون من خُلَع الصداقة وتنسون يوم الحشر؟ وتفسدون في الأرض بعد إصلاحها، اتقوا الله ولا تكونوا من المعتدين. أيمكن أن السيّد الذي كسر الأصنام بالعصا، وإذا سُئل أغير الله قادر قال لا، أهو يعلّمكم أمورا خلاف القرآن الكريم وخلاف التوحيد العظيم؟ كلا.. إنه أغير من كل غيور لله وتوحيده، فلا تفتروا عليه عَضِيهة ولا تكونوا فريسة الشياطين.

هذان بلاءان في اعتقادكم، ومصيبتان على دينكم وتوحيدكم، وصلاحكم وسدادكم. وأمّا المعنى الذي بيّنت، ولتعليمه تحزمت، فكله خير لا محذور فيه، ولا رائحة من شرك ولا من تكذيب النبي ﷺ، بل هو أقر للعين، وفيه نجاة من الثقلين، فاقبلوه وكونوا من الشاكرين.

وكيف تظنون في الذي هو في زعمكم من أبناء الغِيد، وتفوَّقَ مِن رَأْدٍ ضعيفة لا من الشيطان المريد، أنه يتقوى كالشياطين، ويشابهه في بعض الأغاريد، بل يكون أزيد منهم ويصلب كالحديد. ويكون له جسم لا يسع إلا في سبعين باعًا. تفكروا يا ذرية الحُرَّينِ! أيجوز أن يتعطل الله في وقت خروجه، ويقدر الدجال على كل أمر وكل ضيم. وتصير تحت أمره شمس وقمر ونار وماء وجنةٌ وخزائن الأرض وقطعة كل غيم. ويطوف على كل الأرض في ساعة، ويدخل المشارق والمغارب تحت لواء الطاعة، ويضع الفأس على رأس الناس، ويجعلهم شِقَّين ثم يحييهم مرة أخرى، ويري الخلق كذب آية الفرقان: ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾*، ويكون على كل شيء من الفعالين؟ يسحق التوحيد تحت أرجله وكان به من المستهزئين؟ سبحان ربنا عما يصفون، والحمد لله رب العالمين.

---

* سورة الزمر: ٤٣

أيها الناس.. إن تحت هذا النبأ سرٌّ، وفهم السر برٌّ، فاقبلوه بوجه طليق وكونوا مسعدين. يرحم الله عليكم وهو أرحم الراحمين.

أيها الأعزة، هي العقيدة التي علّمني الله من عنده وثبّتني عليها، فما استصوبه بعض الغبِيّين، وما استجادوا قولي هذا وارتابوا واستنكروا واستعجلوا في إكفاري، وما أحاطوا على بِطانتي ولا ظِهارتي ولا سِراري، ونحتوا بهتانات وأكفروا وجاءوا بمفتريات كالشياطين، ليفرُط بتلك المروش إليّ ذم، أو يلحقني وَصْمٌ، وليختلبوا القلوب بمزخرفاتهم، وأتراءى في أعين الناس من الكافرين. ورأيت نفوسهم قد ثعَطت وثلَطت، وقرِحت وتعفنت مِن حقد وغل، وصاروا من الذين يُصعِرون ويُصلِقون، ويؤذون الناس بحُمَةِ نطقهم، وينضنضون لُسْنَهم كصِلٍّ، وما بقي فيهم من حبّ ولا لبّ، كأنهم في غيابة جُبّ، ومن المغرقين.

أيها الأعزة، إني دعوت قومي ليلا ونهارا، فلم يزدهم دُعائي إلا فرارًا، ثم إني دعوتهم جهارًا، ثم إني أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسرارا، فقلتُ استغفروا ربكم واستخيروا واستخبروا، وادعوا الله في أمري يمددكم بإلهامات ويُظهر عليكم أخبارًا، فما سمعوا كلمتي، وأعرضوا عتوًّا واستكبارًا، ورضوا بأن يكونوا لإخوانهم مكفرين. وما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بأحاديث شاهدة على ذلك إن كنتم صادقين. وهم يدرسون كتاب الله ويجدون فيه كل ما قلتُ لهم،

ويقرؤون الصحاح ويجدون فيها ما أظهرتُ عليهم، ولكن ختم الله على قلوبهم وكانوا قوما عمين.

ولستُ أرى أن الأحاديث كلّها موضوعة على التحقيق، بل بعضها مبنية على التلفيق، ومع ذلك فيها اختلافات كثيرة، ومنافاة كبيرة، ولأجل ذلك افترقت الأمة، وتشاجرت الملة، فمنهم حنبلي وشافعي، ومالكي وحنفي، وحزب المتشيّعين. ولا شك أن التعليم كان واحدا، ولكن اختلفت الأحزاب بعد ذلك، فترون كل حزب بما لديهم فرحين. وكل فرقة بنى لمذهبه قلعة، ولا يريد أن يخرج منها ولو وجد أحسن منها صورة، وكانوا لعَماسِ إخوانهم متحصنين. فأرسلني الله لأستخلص الصياصي، وأستدني القاصي، وأُنذر العاصي، ويرتفع الاختلاف ويكون القرآن مالِكَ النواصي، وقِبلةَ الدين. فلما جئتهم أكفروني وكذبوني ورموني ببهتانات وإفك مبين. وإني أرى علمهم مخسولا، وجِيْدَ تناصُفِهم مغلولا، وصُنْعَ عُذْراتهم مطلولا، وأرى صورهم كالممسوخين.

وقد بعثني الله فيهم حكما فما عرفوني وحسبوني من الملحدين. آذوني بحصائد ألسنتهم، ورأيت منهم ظلمًا وهضمًا كثيرًا، وقلّبوا لي الأمور، وأرادوا أن يتخطفوني من الأرض، ولكن عصمني الله من شرورهم وهو خير العاصمين. ورأيت كل أحد منهم مارًّا في عَشْواه، وتاركًا سبيل رسول الله ﷺ وهداه، فقلت: أيها الحسداء

الجهلاء.. أسأتم فيما صنعتم، وحرَنتم فيما ظننتم. تجلِدون للاجتلاد، وأنا تحت أتراس الله حافظِ العباد، ولن تستطيعوا أن تضروني ولو أمحشَ الحقد جلودكم، وسوّد الغيظ خدودكم. يا حسرة عليكم! ما أرى فيكم المتضرع الخائف، خرِف التَّمْر وبقي خرائفُ. وما أرى فيكم رائحة الحياة.. إن أنتم إلا كالأموات، وإن أنتم إلا كمذعوفين.

وأيمُ اللهِ.. لطالما قلت لهم: ألا لا تردوا مخاوفَ الإكفار، فإنها مقاحم الأخطار وفلوات التبار. تعالوا أَنْفِ ما رابكم، وأستسلّ كل سهمٍ نابَكم، فما كفّوا ألسنتهم، وما جاءوني كتقيّ أمين.

ثم قلت: أيها العلماء، أرُوني نصوص كتاب الله لأوافقكم، وأروني أثر رسوله ﷺ لأرافقكم، فإني ما أجد في كتاب الله وآثار رسوله ﷺ إلا موت المسيح بن مريم، فأروني خلاف ذلك إن زعمتموني من الكاذبين. وإن كنتم على بيّنة من عند ربكم.. فلم لا تأتونني بسلطان مبين؟ وإن شئتم أن تختبروني فتعالوا عاينوا آيات صدقي أو أروني شيئا من آياتكم. فإن بدا كذب فمي.. فمزّقوا أدمي، وأريقوا دمي، وإن غلبتُ وظهر صدق قولي، فإليكم من حولي. واتقوا الله ولا تعتدوا أمام ربكم في العصيان، فإن عينه على طرق الإنسان، وهو يرى كل خطواتكم، ويعلم دقائق خطراتكم، فما لكم لا تخافونه؟ قد نزل الله في عرائكم فقوموا له قانتين.

الإيمان نور البشرية، ونور الإيمان عرفان، ومن فقدهما فهو دودة لا إنسان. من عرف السر فقد عرف البر، فقوموا وتجسسوا اللُّبّ الذي هو باطن الباطن ومعنى المعنى ونور النور، ولا تفرحوا بالقشور. الحياة الحياة! البصارة البصارة! ولا تكونوا كالميتين. هذا ما قلت لهم، وفوضت أمري إلى الله. هو ربي، وجيدي تحت نيره، وأعلم أنه لا يخذلني ولا يضيعني، ولا يجعلني من التائهين.

والآن أيها الأعزة.. أبيّن لكم بعض حلمي ومكاشفاتي، **رأيت** فيها رسول الله ﷺ بعد ما رأيته في مستطرَف الأيام، فجعلني كالعِرْدام، وأعدّني للاصْلِخْمام، لأحارب الفراعنة والظالمين.

أيها السادة.. إني رأيته مرات، بعد ما وجدت منه بركات وثمرات، فالآن أبيّن بعضها لكم لعلكم تتفكرون في أمري، ولعلكم تنظرون إليّ بعين المبصرين. فإن القوم فرّوا مني كثور الوحش، وتركوا شِطاط الإنسانية وحِزامتها، وكانوا كجذوة ملتهبة، وقاموا بفَديدٍ سَبُعِيٍّ وطبعٍ قِذَمٍّ كوَجينٍ. وأرَوني سُهوكةَ ريّاهم، وسهومةَ محيّاهم، واتفقوا على إيذائي وازدرائي ببغي وطغيان، وسابقوا في الافتراء كفرسَي رهان، لكي لا يكونوا في إخوانهم من المقرَعين. فلما رأيت أرضهم قَفْرًا، وسماءهم مصحِية، أعرضت وجئت حضرتكم بمائي المَعين.

أيها الأعزة والسادة.. جئناكم راغبين في خيركم بهدية فيها لبن أثداء الأمهات الروحانية، فتعالوا لشربه وأتوني ممتثلين. والآن أبين الرؤيا إراحةً للسامعين.

أيها الكرام.. **رأيت** في المنام كأني في حلقة ملتحمة، ورفقة مزدحمة، وأبين بعض المعارف بجأش متين، ولسان مبين للحاضرين. ورأيت أن المكان رَبع لطيف نظيف، ينفي التَّرَحَ رؤيتُه، ويسرّ الناظرين هيئته، وكنت أخال أنه مكاني، فحبذا هو من مكان، رأيت فيه سيد المرسلين ﷺ. ورأيت عندي رجلا من العلماء.. لا بل من السفهاء.. جاثيا على ركبته، ينكر علي لغباوته، ويكلب علي اللجاج لشقاوته، ورأيته كالحاسدين.

فاشتد غضبي وقلتُ: تعسًا لهؤلاء العلماء.. إنهم من أعداء الدين. فقلت: هل من امرئ يخرجه من هذا المقام، كإخراج الأشرار واللئام، ويطهر المكان من هذا القرين الضنين؟ فقام رجل من خدامي، وهَمّ بإخراجه من أمام عيني ومقامي، ليؤمنني من ذلك الطنّين. فرأيت أنه أخذه وجعل يدفعه ويذُبّه ويذأَطه من المكان، وله رطيط وكرب وفزع مع الاردمان، حتى أُخرج فأصبح من الغائبين.

فرفعت نظري فإذا حِذَتَنا رسول الله ﷺ قائم، وكأنه كان يرى كل ما وقع بيننا مواريا عيانَه. فأخذني هيبة من رؤيته، ونهضت

أستقري مكانا يناسب شأنه، وقمتُ كالخادمين. فإذا دنوت منه ﷺ ونظرت إلى وجهه، فإذا وجهٌ قد رأيته من قبل.. ما رأيت وجهًا أحسن منه في الدنيا، فهو خاتم الحسينين والجميلين، كما أنه خاتم النبيين والمرسلين. ورأيت في يده كتابًا فإذا هو كتابي "**المرآة**"، الذي صنّفته بعد "البراهين". وكان قد وضع إصبعًا على محل فيه مدحُه، وإصبعًا على محل فيه مدح أصحابه، وقد قيّد لَحْظَه بهما وهو يتبسم ويقول: **هذا لي، وهذا لأصحابي**، وكان ينظر إليه كالقارئين. ثم انحدرت طبيعتي إلى الإلهام، فأشار الرب الكريم إلى مقام من مقامات "**المرآة**"، **وقال: "هذا الثناء لي"**. ثم استيقظت، فالحمد لله رب العالمين.

ورأيت في منام آخر كأني صرت عليًا ابن أبي طالب ﵁، والناس يتنازعونني في خلافتي، وكنت فيهم كالذي يُضام ويُمتهَن ويغشاه أدران الظنون وهو من المبرّئين. فنظر النبي ﷺ إلي.. وكنت أخال نفسي أنني منه بمنزلة الأبناء وهو من آبائي المكرمين. فقال وهو متحنن: **"يا علي..دَعْهم وأنصارهم وزراعتهم"**. فعلمت في نفسي أنه يوصيني بصرف الوجه من العلماء وترك تذكرهم والإعراض عنهم وقطع الطمع والحنين من إصلاح هؤلاء المفسدين. فإنهم لا يقبلون الإصلاح، فصرف الوقت في نصحهم في حكم إضاعة الوقت، وطمعُ قبول الحق منهم كطمع العطاء من الضنين. **ورأيت**

أنه يحبّني ويصدّقني، ويرحم عليّ، ويشير إلي أن عُكّازته معي وهو من الناصرين.

ورأيتني في المنام عين الله، وتيقنت أنني هو، ولم يبق لي إرادة ولا خطرة ولا عمل من جهة نفسي، وصِرت كإناء منثلم بل كشيء تأبَّطَه شيءٌ آخر وأخفاه في نفسه حتى ما بقي منه أثر ولا رائحة وصار كالمفقودين. وأعني بعين الله رجوع الظل إلى أصله وغيبوبته فيه، كما يجري مثل هذه الحالات في بعض الأوقات على المحبين.

وتفصيل ذلك أن الله إذا أراد شيئًا من نظام الخير جعلني من تجلياته الذاتية بمنزلة مشيّته وعلمه وجوارحه وتوحيده وتفريده، لإتمام مراده وتكميل مواعيده، كما جرت عادته بالأبدال والأقطاب والصديقين. فرأيت أن روحه أحاط علي واستوى على جسمي، ولفّني في ضمن وجوده حتى ما بقي مني ذرة وكنت من الغائبين. ونظرتُ إلى جسدي فإذا جوارحي جوارحه، وعيني عينه، وأذني أذنه، ولساني لسانه. أخذني ربي واستوفاني وأكد الاستيفاء حتى كنت من الفانين. ووجدت قدرته وقوته تفور في نفسي، وألوهيته تتموج في روحي، وضُرِبت حول قلبي سرادقات الحضرة، ودقّ نفسي سلطانُ الجبروت، فما بقيتُ وما بقي إرادتي ولا مُناي، وانهدمت عمارة نفسي كلها، وتراءت عمارات رب العالمين. وانمحت أطلال وجودي، وعفت بقايا أنانيتي، وما بقيت ذرة من

هويتي، والألوهية غلبت عليّ غلبة شديدةً تامةً، وجُذِبتُ إليها من شعر رأسي إلى أظفار أرجلي، فكنت لُبًّا بلا قشور، ودُهنًا بغير ثُفْل وبذور، وبُوعِدَ بيني وبين نفسي، فكنت كشيء لا يُرى، أو كقطرة رجعت إلى البحر، فستره البحر بردائه وكان تحت أمواج اليم كالمستورين.

فكنت في هذه الحالة لا أدري ما كنتُ من قبل وما كان وجودي، وكانت الألوهية نفذت في عروقي وأوتاري وأجزاء أعصابي، ورأيت وجودي كالمنهوبين. وكان الله استخدم جميع جوارحي، وملَكها بقوة لا يمكن زيادة عليها، فكنت من أخذه وتناوله كأني لم أكن من الكائنين. وكنت أتيقن أن جوارحي ليست جوارحي، بل جوارح الله تعالى، وكنت أتخيل أني انعدمت بكل وجودي، وانسخلت من كل هويتي، والآن لا منازع ولا شريك ولا قابض يزاحم. دخل ربي على وجودي، وكان كل غضبي وحلمي، وحلوي ومرّي، وحركتي وسكوني له ومنه، وصرت من نفسي كالخالين.

وبينما أنا في هذه الحالة كنت أقول: إنا نريد نظامًا جديدًا.. سماءً جديدة وأرضًا جديدة. فخلقتُ السماوات والأرض أولا بصورة إجمالية لا تفريق فيها ولا ترتيب، ثم فرقتها ورتّبتها بوضع هو مراد الحق، وكنت أجد نفسي على خلقها كالقادرين. ثم خلقت السماء

الدنيا وقلت: إنا زَيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيح. ثم قلت: الآن نخلق الإنسان من سلالة من طين.

ثم انحدرتُ من الكشف إلى الإلهام فجرى على لساني: "أردتُ أن أستخلف فخلَقتُ آدم، إنا خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وكنا كذلك خالقين".

وألقي في قلبي أن الله إذا أراد أن يخلق آدم فيخلق السماوات والأرض في ستة أيام ويخلق كل ما لا بد منه في السماء والأرضين. ثم في آخر اليوم السادس يخلق آدم، وكذلك جرت عادته في الأولين والآخرين.

وألقي في قلبي أن هذا الخلق الذي رأيته إشارة إلى تأييدات سماوية وأرضية، وجعلِ الأسباب موافقة للمطلوب، وخلقِ كل فطرة مناسبة مستعدةً للحوق بالصالحين الطيبين. وألقي في بالي أن الله ينادي كل فطرة صالحة من السماء ويقول: كوني على عُدّة لنصرة عبدي وارحلوا إليه مسارعين. ورأيت ذلك في ربيع الثاني سنة ١٣٠٩هـ. فتبارك الله أصدق الموحين.

ولا نعني بهذه الواقعة كما يعنى في كتب أصحاب وحدة الوجود، وما نعني بذلك ما هو مذهب الحلوليين، بل هذه الواقعة توافق حديث النبي ﷺ، أعني بذلك حديث البخاري في بيان مرتبة قرب النوافل لعباد الله الصالحين.

أيها الأعزة.. الآن أقص عليكم من بعض **واقعات** غيبية أظهرني ربي عليها ليجعلها آيات للطالبين. فمنها أن الله رأى أبناء عمي، وغيرهم من شعوب أبي وأمي، المغمورين في المهلكات، والمستغرقين في السيئات، من الرسوم القبيحة والعقائد الباطلة والبدعات، ورآهم منقادين لجذبات النفس واستيفاء الشهوات، والمنكرين لوجود الله ومن المفسدين. ووجدهم أجهلَ خَلْقِه بما يهذّب نفوسهم، وأَلَدَّهم للدنيا الدنية، وأذهلَهم عن ذكر الآخرة، وأغفلَهم عن جلال الله وسطوته وقهره وجوده وأمور العاقبة، والعاكفين على طواغيت الرسوم، الغافلين عن عظمة الله القيوم، والمنكرين للنبي المعصوم، ومن المكذبين. ورأى أنهم يأمرون بالمنكر والشرور، وينهون عن المعروف والخبر المأثور، ويطيلون الألسنة بتوهين رسول الله ﷺ والاستخفاف به، وصاروا للإلحاد والارتداد من المتشمرين. ورأى أنهم يسعون تحت الآثام إلى الآثام، ولا يخافون غضب الله الملك العلام، ولا يتوبون من سب رسول الله ﷺ بل كانوا عليه من المداومين. وكانوا لا يحفظون فروجهم، ولا يتركون دَوْرَقَهم ودُروجهم، وكانوا على هجو الإسلام من المصرين. وكانوا يغضبون غضب السباع مع ظلمة المعاصي والظلم والإيقاع، كأنهم سحاب ركام فيه شغب الرعد والبرق والصاعقة، ولا يخرج قطرة وَدَقٍ من خلاله، فنعوذ بالله من شر المعتدين.

وبينما هم كذلك إذ **اصطفاني** ربي لتجديد دينه، وإظهار عظمة نبـــيه ونشر ريّا ياسمينه ﷺ، **وأمرني** لدعوة الخلق إلى دين الإسلام، وملة خير الأنام، **ورزقني** من الإلهامات والمكالمـــات والمخاطبـــات والمكاشفات رزقًا حسنًا، **وجعلني** من المحدَّثين. فبلغ هذا الخبر وهذه الدعوة وهذا الدعوى أبناءَ عمي وكانوا أشد كفرًا بالله ورســـوله ومنكرين لقضاء الله وقدره ومن الدهريين. فاشتعل غضبهم حـــسدًا من عند أنفسهم، فطغوا وبغوا، واستدعوا الآيات استهزاءً، وقالوا لا نعلم إلـــهًا يكلم أحدًا، أو يقدر أمرًا، أو يوحي إلى رجل وينبئ من شيء، إن هو إلا مكر مستمر قد انتاب من الأولين. وكلـــه كيـــدٌ وخَتْرٌ وذَلاقةُ لُسْنٍ، فليأتنا بآية إن كان مـــن الـــصادقين. وكـــانوا يستهزئون بالله ورسوله ويقولون - قاتلهم الله - إن القـــرآن مـــن مفتريات محمد (ﷺ) وكانوا من المرتدين. وكان القوم كله معهـــم، ولا يمنعونهم من هذه الكلمات ولا يراجعون، فكانوا يزيدون يومًـــا فيومًا في كفرهم وطغيانهم، ولم يكونوا من المزدجرين.

فاتفق ذات ليلة أني كنت جالسًا في بيتي، إذ جاءني رجل باكيًا، ففزعت من بكائه فقلت: أجاءك نعي موت؟ قال: بل أعظم منه. إني كنت جالسًا عند هؤلاء الذين ارتدوا عن دين الله، فسبّ أحـــدهم رسولَ الله ﷺ سبًّا شديدًا غليظًا ما سمعت قبله مـــن فـــم كـــافر، ورأيتهم أنهم يجعلون القرآن تحت أقدامهم، ويتكلمـــون بكلمـــات

يرتعد اللسان من نقلها، ويقولون إن وجود البارئ ليس بشيء، وما من إله في العالم، إن هو إلا كذب المفترين. قلتُ: أوَ لم حذّرتك* من مجالستهم.. فاتق الله ولا تقعد معهم وكن من التائبين.

وكذلك سدَروا في غَلَواهم، وجمحوا في جهلاهم، وسدَلوا ثوب الخيلاء يومًا فيومًا حتى بدا لهم أن يشيعوا خزعبلاهم، ويصطادوا السفهاء بتلبيساهم، فكتبوا كتابًا كان فيه سبّ رسول الله ﷺ وسبّ كلام الله تعالى، وإنكار وجود البارئ عز اسمه، ومع ذلك طلبوا فيه آيات صدقي مني وآيات وجود الله تعالى، وأرسلوا كتابهم في الآفاق والأقطار، وأعانوا بها كفرة الهند، وعتَوا عُتُوًّا كبيرًا، ما سمع مثله في الفراعنة الأولين.

فلما بلغني كتابهم الذي كان قد صنفه كبيرهم في الخبث والعمر، ورأيتُ فيه سبّ رسول الله ﷺ سبّا ينشق منه قلب المؤمنين، وتتقطع أكباد المسلمين، ورأيتُ فيه كلمات الأراذل والسفهاء، وتوهين الشريعة الغراء، وهجو كلام الله الكريم، **فغضبت أسفا**، ونظرت فإذا الكلماتُ كلمات تكاد السماوات يتفطرن منها. فتحدرت عبرات من مَذارف مآقي، وتصعدت زفراتي إلى التراقي، وغلب علي بكاء وأنين. فغلّقت الأبواب،

* *سهو، والصحيح: أو ما حذّرتك.*

ودعوت الرب الوهاب، وطرحت بين يديه، وخررت أمامه ساجدًا، وقرِمتُ إلى نُصرته متضرعًا، وفعلتُ ما فعلتُ بلساني وجناني وعيناي ما لا يعلمها إلا رب العالمين. وقلتُ: يا رب.. يا رب انصر عبدك واخذل أعداءك. استجبني يا رب استجبني. إلامَ يُستهزأ بك وبرسولك؟ وحتّامَ يكذّبون كتابك ويسبّون نبيك؟ برحمتك أستغيث يا حي يا قيوم يا معين.

فرحم ربي على تضرعاتي وزفراتي وعبراتي، وناداني وقال: إني رأيت عصيانهم وطغيانهم، فسوف أضربهم بأنواع الآفات، أُبيدهم من تحت السماوات، وستنظر ما أفعل بهم، وكنا على كل شيء قادرين. إني أجعل نساءهم أرامل، وأبناءهم يتامى، وبيوتهم خرِبةً، ليذوقوا طعم ما قالوا وما كسبوا، ولكن لا أهلكهم دفعة واحدة، بل قليلا قليلا لعلهم يرجعون، ويكونون من التوابين. إن لعنتي نازلة عليهم وعلى جدران بيوتهم وعلى صغيرهم وكبيرهم ونسائهم ورجالهم ونزيلهم الذي دخل أبوابهم، وكلهم كانوا ملعونين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقطعوا تعلقهم منهم، وبعُدوا من مجالسهم، فأولئك من المرحومين.

هذه خلاصة ما ألهمني ربي، فبلّغت رسالات ربي، فما خافوا وما صدقوا، بل زادوا طغيانًا وكفرًا، وظلّوا يستهزئون كأعداء الدين. فخاطبني ربي وقال: إنا سنريهم آيات مُبكية، وننزل

عليهم همومًا عجيبة، وأمراضًا غريبة، ونجعل لهم معيشة ضنكًا، ونصبّ عليهم مصائب فلا يكون لهم أحد من الناصرين.

فكذلك فعل الله تعالى بهم وأنقض ظهورهم بأثقال الهموم والديون والحاجات، وأنزل عليهم من أنواع البلايا والآفات، وفتح عليهم أبواب الموت والوفاة، لعلهم يرجعون أو يكونون من المتنبهين. ولكن قست قلوبهم، فما فهموا وما تنبهوا وما كانوا من الخائفين.

ولما قرب وقت ظهور الآية اتفق في تلك الأيام أن واحدًا من أعزّ أعزّتهم الذي كان اسمه "أحمد بيگ"، أراد أن يملك أرض أخته التي كان بعلها مفقود الخبر من سنين، وكان هو ابن عمي، وكانت الأرض من ملكه، فمال أحمد بيگ أن يخلص الأرض من أيدي أخته ويستخلصها، وأن يستخرجها من قبضتها ثم يقتنصها، وأرادت هي أن تهبها وتمنّ على أخيها. وكنا لها ورثاء جميعًا على سواء، فرضي أبناء عمي لوجه بهذا، بما كانت أختهم تحته وبما كانوا له أقربين. كذلك. نعم، قد كان لي حق غالبًا عليهم، ولأجل ذلك ما كان لهم أن يهبوا الأرض قبل أن أرضى وأكون من الرّاضين.

فجاءت امرأة أحمد بيگ تطرح بين يدي لأترك حقي، وأرضى بهذه الهبة، ولا أكون من المنازعين. فكدتُ أرحم عليها

وأهب الأرض لها تأليفًا لقلوبهم لعلهم يتوبون ويكونون من المهتدين. ثم خشيت شر الاستعجال، في مال الغائب الذي هو مفقود الخبر والحال، فخوّفني تَبِعةُ أثماره وما فيه من الوبال. فاستحسنتُ استفتاء العليم الحكيم، وترقُّب إعلام الرب الرحيم، لأكون بَرِيًّا من غصب حق غائب، ولا أكون من ضيمي كقائبٍ، وأخرج من الذين يظلمون شركاءهم ويتركونهم كخائب، وكانوا في حقوقهم راغبين، ولا يخافون أن يأخذوهم مفاجئين. فارتدعت عن الهبة ارتداع المرتاب، وطويت ذكره كطيِّ السجلّ للكتاب، وكنت لحكم الله من المنتظرين.

وكنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، وما كدت أن أظن أنها قضية قد أراد الله بها ابتلاء قوم كانوا من المعتدين، الذين غلبت عليهم المجون والخلاعة والإباحة والدهرية، والتحقوا بالكفار بل كانوا أشد كفرًا منهم وكانوا قومًا فاسقين. فقلت لامرأة أحمد بيگ: ما كنت قاطعًا أمرا حتى أؤامر الله تعالى فيه، فارجعي إلى خِدْرك، وبلّغي ما سمعت أبا عُذْرك، وستجدينني - إن شاء الله - من المخلصين.

فذهبت، وأتى بعلها يسعى، فألح عليّ كالمضطرين، وكان يخبِط كخبط المصابين، حتى أبكاه كُرْبتُه، وذوَتْ سكينته، وفاءَ إلى التضرع والاقشعرار، وكان أحشاؤه قد التهبت بطَوَى العَقار،

وكان يتنفس كالمخنوقين. ووجدته بوَجْدِه المتهالك كأنّ الهم سيجدِله، والغم يُفيح دمه، ويصول عليه الحزن كمغتالين. فلما رأيت صَغْوَه وحزنه قد بلغ مراتب كماله، أخذني التحنن على حاله، وأشفقت على عينه ومبكاها، وقصدتُ أن أُريه يد النصرة وجدواها وعدواها، فأسرعت إلى تسليته كالمواسين. فقلت له: والله ما زاغ قلبي وما مال، وما أنا من الذين يحبون المال، بل من الذين يتذكرون المآل والآجال، ولستُ شحيحًا على النعم كالذين هم كالنَّعم، وإنني أرحم عليك وسأُحسن إليك، وأعلم أن أنفَسَ القربات تنفيس الكربات، وأمتَنَ أسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات، وكنت لنصرتك من المتأهبين. ولكن أيم الله، لقد عاهدت الله على أنني لا أميل إلى أمرٍ فيه شبهة، ولا أضع قدمًا في موضع فيه زلة، ولا أتلو المتشابهاتِ حتى أؤامر ربّي فيها، فالآن أفعل كذلك وأرجو من الله خيرًا، فلا تكوننّ من القانطين. وإني أرى أن المؤامرة أقرب للتقوى، لأن الوارث مفقود، وما نتيقن أنه مات أو هو حي موجود، فلا يجوز أن يستعجل في ماله كمال الميتين. فالأولى أن تقصُر عن القيل والقال، حتى أؤامر ربي عالم الغيب ذا الجلال، وأستقري سبل اليقين. قال: ما مني خلاف، فلا يكن لوعدك إخلاف. قلت: كل وعدي مشروط بأمر رب العالمين. فذهب وكان مِن وجده الذي تيّمه كالمعتلّين.

فتيمّمت حجرتي، والتزمت زاوية بقعتي، أتجشم إلى الله تعالى ليظهر عليّ أمره، ويفلِق حَبَّ الحقيقة من نواها، ويُري لبّ الأمر وقشره. فوالله ما أمسكتُ ريثما يُعقَد شِسْع، أو يُشَدّ نِسْع، إذا الوسَن أسرى إلى آماقي، وأُلهمتُ من الله الباقي، وأُنبِئت من أخبار ما ذهب وَهْلي قط إليها وما كنت إليها من المستدنين. فأوحى الله إلي أن اخطُبْ صبيته الكبيرة لنفسك، وقل له: ليصاهرك أولا ثم ليقتبس من قبسك، وقل: إني أُمرت لأهبك ما طلبتَ من الأرض، وأرضًا أخرى معها، وأُحسن إليك بإحسانات أخرى، على أن تُنكحني إحدى بناتك التي هي كبيرتها، وذلك بيني وبينك فإن قبلت فستجدني من المتقبلين. وإن لم تقبل فاعلم أن الله قد أخبرني أن إنكاحها رجلا آخر لا يبارَك لها ولا لك، فإن لم تزدجر فيصبّ عليك مصائب، وآخر المصائب موتك، فتموت بعد النكاح إلى ثلاث سنين، بل موتك قريب، ويرِد عليك وأنت من الغافلين. وكذلك يموت بعلها الذي يصير زوجها إلى حولين وستة أشهر، قضاءً من الله، فاصنع ما أنت صانعه، وإني لك لمن الناصحين. فعبس وتولى وكان من المعرضين.

ثم كتبت إليه مكتوبا بإيماء منّاني، وإشارة رحماني، ونمّقت فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فاسمع أيها العزيز! ما لك اتخذت جِدّي عبثا، وحسبتَ تِبري خبثا؟ ووالله ما أريد أن أشقّ عليك، وستجدني إن شاء الله من المحسنين. وها أنا أكتب بعهد موثق، فإنك إن قبلتَ قولي على رغم أنف قبيلتي، فأفرض لك حصة في أرضي وخميلتي، ويرتفع الخلاف والنزاع بهذه الوصلة من بيننا، ويصلح الله قلوب شعبي وعشيرتي، وفي كل مُنيتك أقتفي صَغْوَك، وأزيل قَشْفَك، فتكون من الفائزين لا من الفائزين.

والحق والحق أقول.. إني أكتب هذا المكتوب بخلوص قلبي وجناني، فإن قبلت قولي وبياني، فقد صنعت لطفًا إليّ، وكان لك إحسانا عليّ، ومعروفًا لدي، فأشكرك وأدعو زيادة عمرك من أرحم الراحمين. وإني أقيم معك عهدي، أني أعطي بنتك ثُلْثًا من أرضي ومن كل ما ملكته يدي، ولا تسألني خُطة إلا أعطيك إياها، وإني من الصادقين. ولن تجد مثلي في رعاية الصلة ومودة الأقارب وحقوق الوُصلة، وتجدني ناصر نوائبك، وحامل أثقالك، فلا تضيّع وقتك في الإباء، ولا تستنكر حِبَّك ولا تكونن من الممترين.

وها أنا كتبت مكتوبي هذا من أمر ربي لا عن أمري، فاحفَظْ مكتوبي هذا في صندوقك فإنه من صدوق أمين. والله يعلم أنني فيه صادق، وكل ما وعدت فهو من الله تعالى، وما قلت إذ قلت ولكن

أنطقني الله تعالى بإلهامه، وكانت هذه وصية من ربي فقضيتها. ما كان لي حاجة إليك وإلى بنتك، وما ضيق الله علي، والنساء سواها كثيرة، والله يتولى الصالحين. فلا تنظر إلى مكتوبي بعين الارتياب، فإنه كتبته بإمحاض النصح والتزام الصدق والصواب، ودَعِ الجدال وانتظر الآجال، فإن مضى الأجل وما حصحص الصدق فاجعل حبلا في جيدي، وسلاسلا في أرجلي، وعذِّبْني بعذاب لم يعذب به أحد من العالمين.

كنتم قد طلبتم آية من ربي، فهذه آية لكم. إنه يأخذ المنكرين من مكان قريب، ويختار ما كان أقرب التعذيبات في حقهم، وأدنى من أفهامهم، وأشد أثرًا في أعراضهم وأجسامهم، ليري المحتالين ضعفهم ويكسر كبر الضائمين.

هذا ما كتبتُ إلى أحمد بيگ في سنة ١٣٠٤، فأعرض وأبى، وسكت وبكت، وعاف وُصْلتي وصلتي، وضاق ذرعًا من نميقتي، وكان من المعادين. ومعه عاداني قومه وعشيرته الذين كانوا أقربين. وكانوا يعافون أن يزوّجوا بناتِهم أقاربَ مثلي، أو يزوجوا امرأً تحته امرأة أخرى. وكانت بنته هذه المخطوبة جاريةً حديثة السن عذراء، وكنت حينئذ جاوزت الخمسين. وكان جذوة المعاداة متطايرة، ونارها ملتهبة، فزيّن القدر لنَصَبِه ووَصَبِه هذه الموانع في عينيه، فصار من المرتدعين. وكان يعلم صدقي وعفتي، وبالله ثقتي ومِقتي، ولكن

غلبت عليه الشَّقْوة وأنساه عاهتُه نباهتي، فكــان مــن المنكــرين المعرضين.

وما عراني حزن من ذلك الإنكار، بل فرحت فرحة المطلق مــن الإسار، وهزة الموسر بعد الإحسار، وكنت كتبتُ إليــه بإيمــاء الله القهار، فعلمتُ أن الله أتم حجته عليه وعلى عشيرته ولم يبــق لــه الاعتذار، وعلمت أنه سيجعل كلماتي حــسراتٍ علــى قلــوبهم فسيذكرونها باكين.

ثم غلب قلبَه ذعر وضجر، وفجعه إلهامي، فمكث خمس سنين لا يزوج أحدًا بنته ولا يخطــب خيفــة مــن وعيــد الله، وصــار كالمتشحطين. فلما أنكحها فما مضى عليه إلا قريبًا من ستة أشــهر إلا وقد أخذه الله وسلّط عليه داءً كالأرضة، وفوضــه إلى قبــضة المرضة، وعَرْكة الوعكة، إلى أن أذهب حواسَّه الأَنَفُ، واستــشفّه التلف، حتى نضَّى عنه قدر الله ثوب المحيا، وســلمه إلى أبي يحــيى، ومات بميتةٍ محسرة، ونارٍ تطلع على أفئدةٍ، ورحل بالكربــة والغــم الغابر، وكم حسرات في بطــون المقــابر، وإن في هــذا لآيــات للمنكرين.

وعرا أهلَه وأقاربه ضجر ومصيبة، كانوا يضربون وجوههم مــن وبالِ الدُّرَخْمين. وهم الذين كانوا يقولون ما نعلم ما الله، إن هــي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين. فوجدوا وجدًا عظيما

لفوت لقياه، وانقطاع سقياه، وبما رأوا أن الإلهام قد أرى سناه، وتراءت من كشف ساقه ساقاه، وظهرت من بدء أمره منتهاه، فكانوا مع حزنهم متخوّفين. ما تمضمضتْ مُقلتهم بنومها في تلك الأيام، ولا تمخضت ليلتهم عن يومها لغلبة هذا الظلام، وأحلّهم نزيلِ المصائب، فأحضروه شِواةَ الكبد وماء الأنين. فلما بلغهم نعيُ الحِمام، ووعيُ اللاطمات على وجوهَهم والحاطماتِ هامَهم بذكر الراحل عن المقام، انثالوا إلى عَقْوته موجفين، وإلى دويرته الخربية موفضين. فأسالوا الغروب، وعطّوا الجيوب، وصكّوا الخدود، وشجّوا الرؤوس، وكانت النساء قلن في نياحتهم: قد أصبح اليوم عدونا، الذي أنبأنا قبل الوقت، من الصادقين.

فتفكروا أيها الطلاب.. **أهذا أضغاث أحلام؟ أهذا افتراء إنسان؟** واسألوا أهل المتوفى الذين يتندمون في أنفسهم، ويبكون على ميتهم، ويقولون: يا ويلنا إنا كنا خاطئين. وهنّأني ربّي وقال: (إنا مهلكو بعلِها كما أهلكنا أباها، ورادّوها إليك. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. وما نؤخّره إلا لأجل معدود. قل تربصوا الأجل وإني معكم من المتربصين. وإذا جاء وعد الحق.. أهذا الذي كذبتم به أم كنتم عَمِين). هذا ما بشِّرتُ من ربي، فالحمد لله رب العالمين.

ورأيت في منام كأني قائم في موطن وفي يدي سيف مسلول، قائمه في أكفي وطرفه الآخر في السماء، وله برق ولمعان، يخرج منه نور كقطرات متنازلة حينا بعد حين. وإني أضرب السيف شمالا وجنوبًا، وبكل ضربة أقتل ألوفًا من أعداء الدين.

ورأيت في تلك الرؤيا شيخا صالحًا اسمه **عبد الله** الغزنوي، وقد مات من سنين، فسألته عن تأويل هذه الرؤيا، فقال: أما السيف فهي الحجج التي أعطاك الله ونصرك بالدلائل والبراهين. وأما ضربك إياه شمالا وجنوبًا فهو إراءتك آيات روحانية سماوية وأدلة عقلية فلسفية للمنكرين. وأما قتل الأعداء فهو إفحام المخاصمين، وإسكاهم منها. هذا تأويل رؤياك وأنت من المؤيدين. وقد كنت في أيامي التي كنت في الدنيا أرجو وأظن أن يخرج رجل بهذه الصفات، وما كنت أستيقن أنه أنت وكنتُ عن أمرك من الغافلين.

ومنها أن الله بشرني وقال: "سمعتُ تضرعاتك ودعواتك، وإني معطيك ما سألت مني وأنت من المنعمين. وما أدراك ما أعطيك؟ آية رحمةٍ وفضلٍ وقربةٍ وفتحٍ وظَفَرٍ. فسلام عليك أنت من المظفَّرين. إنا نبشرك **بغلام** اسمه **عنموايل** * **وبشير**. أنيق الشكل دقيق العقل ومن المقربين. يأتي من السماء، والفضل ينزل بنزوله. وهو نور

---

* *هذا اللفظ ورد في كتاب آخر لسيدنا أحمد عليه السلام بقراءة "عمّانوئِيل، ويبدو أنه الأصح. انظُرْ " أنجام آتهم"، الخزائن الروحانية ج ١١ص ٦٢ .*

ومبارك وطيب ومن المطهرين. يُفشي البركات، ويغذي الخَلق من الطيبات، وينصر الدين. ويسمو ويعرج ويرقى، ويعالج كل عليل ومرضى، وكان بأنفاسه من الشافين. وإنه آية من آياتي، وعَلَمٌ لتأييداتي، ليعلم الذين كذبوا أني معك بفضلي المبين، وليجيء الحق بمجيئه، ويزهق الباطل بظهوره، وليتجلى قدرتي ويظهر عظمتي، ويعلو الدين ويلمع البراهين، ولينجو طلاب الحياة من أكف موت الإيمان والنور، وليبعث أصحاب القبور من القبور، وليعلم الذين كفروا بالله ورسوله وكتابه أنهم كانوا على خطأ ولتستبين سبيل المجرمين. فسيعطى لك غلام ذكي من صلبك وذريتك ونسلك ويكون من عبادنا الوجيهين. ضيف جميل يأتيك من لدنا. نقي من كل دَرَنٍ وشَينٍ وشَنار وشرارة، وعيب وعار وعرارة، ومن الطيبين. وهو كلمة الله. خُلق من كلمات تمجيدية. وهو فهيم وذهين وحسين. قد ملئ قلبه علمًا، وباطنه حلمًا، وصدره سلمًا، وأعطي له نفَسٌ مسيحي، وبورك بالروح الأمين. يوم الاثنين. فواهًا لك يا يوم الاثنين، يأتي فيك أرواح المباركين. ولد صالح كريم ذكي مبارك. مظهر الأول والآخر. مظهر الحق والعَلاء، كأن الله نزل من السماء. يظهر بظهوره جلال رب العالمين. يأتيك نور ممسوح بعطر الرحمن، القائم تحت ظل الله المنان. يفكّ رقاب الأسارى وينجي المسجونين. يعظم شأنه، ويُرفع اسمه وبرهانه، ويُنشَر ذكره وريحانه

إلى أقصى الأرضين. إمام هُمامٌ، يبارَك منه أقوام، ويأتي معه شـفاء ولا يبقى سَقام، وينتفع به أنام. ينمو سريعًا سريعًا كأنه عِـردام، ثم يرفع إلى نقطته النفسية التي هي لـه مقام. وكان أمرًا مقضيًا، قدّره قادر علام. فتبارك الله خير المقدرين."✪

✪ قد أخبر رسول الله ﷺ أن المسيح الموعود يتزوّج ويولد لـه. ففي هـذا إشارة إلى أن الله يعطيه ولدًا صالحًا يشابه أباه ولا يأباه، ويكون من عباد الله المكرمين. والسر في ذلك أن الله لا يبشر الأنبياء والأولياء بذريةٍ إلا إذا قـدر توليد الصالحين. وهذه هي البشارة التي قد بُشرت بها من سنين ومن قبل هذه الدعوى، ليُعرفني الله بهذا العلم في أعين الذين يستشرفون وكانوا للمـسيح كالمجلوذين.

وأما دفن المسيح في قبر رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث فهذا سرّ معكوم ورمز مختوم، لا يعرفه إلا الذين يعلّمون من ربهم مـن الملـهمين المعـزّزين. وحقيقته أن الله تعالى قد جعل قبر نبيه ﷺ مقرونا بالجنة، فهما صِنوانِ مـن شجرة نور الحق، لا ينفك أحدهما من الآخر، وقِرابانِ للمعات مخفية واصـلة إلى الواصلين. وقد جرت عادة الله تعالى أنه يُدني قـبر رسولَ اللهً ﷺ مـن المؤمن المتوفى كما يدني الجنة رزقًا منه وهو خير الرازقين. فإذا مات عبد لـه قرب ومصـافاة بالله تعـالى فيُدنى من قبر رسول الله ﷺ ومن الجنة بقـدر هذا القرب والمصافاة في الدين. فالذي هو أشد قربًا ومصافاةً هو أشد قربـا بقبر رسول الله، كأنه داخل فيه وضجيع خاتم النبيين. فخُذْ هـذه التمـرةَ، وإياك والجمرة، واعلم أن المسيح قد أُنـزل على هذه الأرض كما خرج فيها الدجال، فلا تكن من المشائمين. منه.

ورأيت في المنام كأني أسرجتُ جوادي لبعض مرادي، وما أدري أين تأهّبي وأيّ أمر مطلبي، وكنتُ أحس في قلبي أنني لأمـــر مـــن المشغوفين. فامتطيتُ أجرَدي باستصحاب بعض السلاح، متـــوكلا على الله كسنة أهل الصلاح، ولم أكن كالمتباطئين. ثم وجدتني كأني عثرتُ على خيل قصدوا متسلحين داري لإهلاكي وتباري، وكأنهم يجيئون لإضراري منخرطين. وكنتُ وحيدًا، ومع ذلك رأيتني أني لا ألبَس من خُوذ، غيرَ عُدَدٍ وجدتها من الله كعُوذ، وقـــد أنفـــتُ أن أكون من القاعدين والمتخلفين الخائفين. فانطلقتُ مجِدًّا إلى جهة من الجهات، مستقريًا إربي الذي كنت أحسبه من أكبر المهمات وأعظم المثوبات، في الدنيا والدين، إذ رأيت ألوفًا من الناس، فارسين علـــى الأفراس، يأتون إلي متسارعين. ففرحـــت برؤيتـــهم كالخبّـــاس، ووجدتُ في قلبي حَولا للجِحاس، وكنت أتلوهم كتُلُوِّ الصيادين. ثم أطلقت الفرس على آثارهم، لأدرك من فصٍّ أخبارهم، وكنت أتيقن أنني لمن المظفرين. فدنوتُ منهم فإذا هم قوم دَروس البِـــزّةِ كريـــهُ الهيئة، مِيسمهم كميسم المشركين، ولباســـهم لبـــاس الفاســـقين، ورأيتهم مطلقين أفراسهم كالمغِيرين. وكنت أقيّد لحظي بأشـــباحهم كالرائين. وكنت أسارع إليهم كالكُماة، وكان فرسي كأنه يُزجِيه قائد الغيب كإزجاء الحَمولات بالحُداة، وكنت على طلاوة إقدامـــه كالمستطرفين. فما لبثوا أن رجعوا متدهدهًا إلى خمـــيلتي، ليزاحمـــوا

حولي وحيلتي، وليُتلفوا ثماري ويزعجوا أشجاري، وليشنّوا عليها الغارات كالمفسدين. فأوحشني دخولهم في بستاني، وأُدهشتُ بإغراقهم وولوجهم فيها، فضجرت ضجرًا شديدًا وقلِق جناني، وشهد توسمي أنهم يريدون إبادة أثماري، وكسر أغصاني. فبادرتُ إليهم، وظننت أن الوقت من مَخاشِي اللأواءِ، وصارت أرضي موطن الأعداء، وأوجست في نفسي خيفةً كالضعيفين المزؤودين. فقصدت الحديقة لأفتش الحقيقة. فلما دخلتُ حديقتي، واستشرفت بتحديق حَدَقتي، واستطلعت طِلْعَ مقامهم، رأيتهم من مكان بعيد في بحبوحة بستاني ساقطين مصروعين كالميتين. فأفرخَ كربي وآمنَ سِربي، وبادرت إليهم جَذِلاً وبأقدام الفرحين. فلما دنوتُ منهم وجدتهم أصبحوا فرسى كموت نفس واحد ميتين ذليلين مقهورين. سُلخت جلودهم، وشُجّت رؤوسهم، وذُعطت حلوقهم، وقطعت أيديهم وأرجلهم، وصُرعوا كالممزَّقين، واغتيلوا كالذين سقط عليهم صاعقة فكانوا من المحرَقين. فقمت على مَصارعهم عند التلاقي، وعبراتي يتحدرن من مآقي، وقلتُ: يا رب، روحي فداء سبيلك، لقد تبتَ عليّ ونصرت عبدك بنصرةٍ لا يوجد مثله في العالمين. رب، قتلتَهم بأيديك قبل أن قاتلَ صِرْعانِ، وحاربَ حِتْنانِ، وبارزَ قِتْلانِ، تفعل ما تشاء وليس مثلك في الناصرين. أنت أنقذتني ونجيتني، وما كنت أن أُنجى من هذه البلايا لولا رحمتك يا أرحم

الراحمين. ثم استيقظت وكنت من الشاكرين المنيبين، فالحمد لله رب العالمين.

وأوّلت هذه الرؤيا إلى نصرة الله وظفره بغير توسط الأيدي والأسباب، ليُتمّ علي نعماءَه ويجعلني من المنعمين. والآن أبين لكم تأويل الرؤيا لتكونوا من المبصرين.

فأما شجّ الرؤوس وذَعْطُ الحلوق فتأويله كسر كبر الأعداء وقصم ازدهائهم وجعلهم كالمنكسرين.

وأما تقطيع الأيدي فتأويله إزالة قوة المباراة والمماراة، وإعجازُهم وصدّهم عن البطش وحيلِ المقاومات، وانتزاعُ أسلحة الهيجاء منهم، وجعلُهم مخذولين مصدودين.

وأما تقطيع الأرجل فتأويله إتمام الحجة عليهم وسدّ طريق المناص، وتغليق أبواب الفرار وتشديد الإلزام عليهم، وجعلُهم كالمسجونين. وهذا فعل الله الذي قادر على كل شيء، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، ويهزم من يشاء ويفتح لمن يشاء، وما كان له أحد من المعجزين.

إن الذين كذبوا رسله، وآذوا عباده، وكفروا بآيات الله ولقائه، أولئك يئسوا من رحمته، وأرداهم ظنهم، وأهلكهم كبرهم، فحبطت أعمالهم وصاروا هالكين.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، ولا تتخلفوا عن داعي الله، وكونوا مع الصادقين. لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحتُ لكم، فكيف آسى على قوم لا يحبون الناصحين؟

ذكر بعض الأنصار
شكرًا لنعمة اللّه الغفار

ما زلتُ مذ أُمِرتُ من حضرة الرب، وأُحييت من الحي ذي العجب، أَحِنّ إلى عيان أنصار الدين، ولا حنينَ العطشان إلى الماء المعين. وكنت أصرخ في ليلي ونهاري، وأقول يا ربّ من أنصاري؟ يا رب من أنصاري؟ إني فرد مهين.

فلما تواتر رفع يد الدعوات، وامتلأ منه جوّ السماوات، أجيب تضرعي، وفارت رحمة رب العالمين. فأعطاني ربي صديقا صدوقا، هو عين أعواني، وخالصة خُلصاني، وسلالة أحبائي* في الدين

* **حاشية**: ومن الأحباء في الله منشي زين الدين محمد إبراهيم بمبئ، والمولوي غلام إمام منيبوري، وحبي في الله المولوي غلام حسن بشاوري، ومحيي الدين الشريف تونتي كورن، والسردار محمد ولايت خان المدراسي، وحبي في الله السيد النجيب المولوي محمد أحسن، وحبي في الله المولوي عبدالكريم السيالكوتي- سلمه الله - الذي أيدني وأَمدّني في ترجمة مكتوبي هذا وهو من المحبين المخلصين، وهو في هذه الأيام عندي. كان لِهوى ملاقاتي واستحسان مقاماتي أرغبَ في الاغتراب واستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب، فجزاه الله وثبّته على سبيل الصدق والصواب، ورحمه وهو خير الراحمين. ومنهم ميرزا خدا بخش وهو في هذه الأيام عندي. شاب صالح

المتين. اسمه كصفاته النورانية **نور الدين**. هو بَهيرَوي مولدًا، وقُرَشي فاروقي نسبًا، من سادة الإسلام ومن ذرية النجيبين الطيبين. فوصلتُ بوصوله إلى الجَذْل المفروق، واستبشرت به كاستبشار السيد (ﷺ) **بالفاروق**، ولقد أُنسيتُ أحزاني، مذ جاءني ولقّاني، ووجدته في سبل نصرة الدين من السابقين. وما نفعني مال أحدٍ كماله الذي آتاه لوجه الله، ويؤتي من سنين. قد سبق الأقران في

مخلص، شرح الله صدره لحبي، وأترع ذيله من ثمرات الإخلاص، وثبته مع الثابتين. ومنهم حبي في الله الحكيم فضل الدين البهيروي، وحبي في الله الشيخ رحمة الله الگجراتي، وحبي في الله السيد أمير علي شاه، والسيد حامد شاه. وحبي في الله المنشي غلام القادر المعروف بالفصيح السيالكوتي. وحبي في الله النواب محمد علي خان رئيس مالير كوتله، وحبي في الله السيد محمد تفضل حسين أتاوي، وحبي في الله السيد الهادي، وحبي في الله محمد خان، والمنشي محمد أرورا، والمنشي ظفر أحمد كفورتلوي، وحبي في الله المولوي محمد مردان علي، والمولوي محمد مظهر علي حيدرآبادي، وحبي في الله المولوي برهان الدين الجهلمي، وحبي في الله مير ناصر نواب الدهلوي، وحبي في الله القاضي ضياء الدين قاضيكوتي، وحبي في الله المولوي السيد محمد عسكري خان، وحبي في الله القاضي غلام المرتضى، وحبي في الله عبد الحكيم خان، وحبي في الله رشيد الدين خان، وحبي في الله السيد خصلت علي شاه، وحبي في الله المنشي رستم علي، وحبي المنشي عبد الله السنوري، والميرزا محمد يوسف بيگ السامانوي، والمنشي محمد حسين المراد آبادي، والقاضي خواجة علي اللدهيانوي. هؤلاء من أحبائي. منهم من قصصنا ومنهم من لم نقصص، وكلهم من المخلصين.

البراعة والتبرع والجدوى، ومع ذلك حلمه أرسخ من رَضوى. نبَذ العُلَقَ لله تعالى، وجعل كل اهتشاشه في كلام رب العالمين. رأيت البذلَ شِرْعتَه، والعلم نُجْعتَه، والحلم سيرته، والتوكل قوته، وما رأيت مثله عالمًا في العالمين، ولا في خُلقِ مِمْلاقٍ من المنعِمين، ولا في الله ولله من المنفقين. وما رأيت **عبقريًا** مثله مذ كنت من المبصرين.

ولما جاءني ولاقاني ووقع نظري عليه، رأيته آيةً من آيات ربي، وأيقنت أنه دُعائي الذي كنت أداوم عليه، وأُشْرِبَ حسّي ونبّأني حَدَسي أنه من عباد الله المنتخبين. وكنت أكره مدح الناس وحمدهم وبثَّ شمائلهم، خوفًا من أنه يضر أنفسهم، ولكنني أرى أنه من الذين انكسرت جذباهم النفسية، وأزيلت شهواهم الطبعية، وكان من الآمنين.

ومن آيات كماله أنه لما رأى جروح الإسلام، ووجده كالغريب المستهام، أو كشجر أُزعجَ من المقام، أشعرَ همًّا، وانكدر عيشه غمًّا، وقام لنصرة الدين كالمضطرين. وصنف كتبًا احتوت على إفادة المعاني الوافرة، وانطوت على الدقائق المتكاثرة، ولم يسمع مثلها في كتب الأولين. عباراها مع رعاية الإيجاز مملوّة من الفصاحة، وألفاظها في هاية الرشاقة والملاحة، تسقي شرابًا طهورًا للناظرين. ومثل كتبه كحرير يضمَّخ بعبير، ثم يُلَفّ فيه من درر ويواقيتَ ومسك كثير، ثم يُرتَن فيه العنبر ويجعل كله كالعجين.

ولا شك أنها جامعة ما تفرق في غيرها من الفوائد، فاقت ما عداها لكثرة ما حواها من الشوارد والزوائد، ولجذب القلوب بحبال الأدلة والبراهين. طوبى لمن حصّلها وعرفها وقرأها بإمعان النظر.. فلا يجد مثلها من معين. ومن أراد حلَّ غوامض التنزيل، واستعلامَ أسرار كتاب الرب الجليل، فعليه بالاشتغال بهذه الكتب وبالعكوف عليها، فإنها كافلة بما يبغيه الطالب الذهين. يُصبي القلوب أَريجُ ريحانها، والثمرات مستكثرة في أغصانها، ولا شك أنها جنة قُطوفها دانية، لا يُسمَع فيها لاغية، نُزُلٌ للطيّبين. منها: "فصل الخطاب لقضايا أهل الكتاب"، ومنها: "تصديق البراهين". تناسَقَ فيها جزيل المعاني مع متانة الألفاظ ولطافة المباني، حتى صارت أسوة حسنة للمؤلفين، ويتمنى المتكلمون أن ينسجوا على منوالها، وترنمت بالثناء عليها ألسنة النِحْريرين. جواهرها تفوق جواهر النحور، ودررها فاقت درر البحور، وإنها أحسم دليل على كمالاته، وأقطع برهان على ريّا نفحاته، وستعلمون نبأها بعد حين.

قد شمر المؤلف الفاضل فيها لتفسير نكات القرآن عن ساق الجِدِّ والعناية، واعتنى في تحقيقه باتفاق الرواية والدراية، فواهًا لهممه العالية، وأفكاره الوقّادة المَرضية، فهو فخر المسلمين. وله ملكة عجيبة في استخراج دقائق القرآن، وبثّ كنوز حقائق الفرقان، ولا شك أنه ينوَّر من أنوار مشكاة النبوة، ويأخذ نورًا من نور النبي ﷺ

بمناسبة شأن الفتوة، وطهارة الطين. امرؤ عجيب، وفتى غريب، تتفجر أنهار أنوار الأسرار بلمحة من لمحاته، وتتدفق مناهل الأفكار برَشْحةٍ من رشحاته، وهذا فضل الله يهب لمن يشاء وهو خير الواهبين.

لا ريب في أنه نخبة المتكلمين، وزبدة المؤلفين. يشرب الناس من عُباب زُلاله، ويُشترى كشرابٍ طَهورٍ قواريرُ مقاله، هو فخر البَرَرة والخِيَرة وفخر المؤمنين. في قلبه أنوار ساطعة من اللطائف والدقائق، والمعارف والحقائق، والأسرار وأسرار الأسرار ولمعات الروحانيين. إذا تكلم بكلماته النظيفة الطيبة، وملفوظاته البديعة المرتجلة المبتكرة، فكأنه يصبي القلوب والأرواح بالأغاني اللطيفة، والمزامير الداوودية الذفيفة، ويجيء بخارق مبين. يخرج الحكمة من فمه عند سرد الحديث وسَوق الكلام، كأنها عُبُب مندفقة متوالية متصاعدة إلى أفواه السامعين.

وإني قد أطلقتُ أَجْرَدَ فكري إلى كمالاته، فوجدته وحيدَ الدهر في علومه وأعماله وبرّه وصدقاته، وأنه لَوْذَعِيٌّ أَلْمَعِيّ، نخبة البررة، وزبدة الخيرة. أعطي له السخاء والمال، وعُلّقت به الآمال، فهو سيد خَدَمِ الدين، وإني عليه من الغابطين. ينزل أهل الآمال بساحته، ويستنزلون الراحة من راحته، فلا يَلوي عِذارَه عمن ازداره، وأمَّ دارَه، وينفَح بعُرْفه من وافاه من المملِقين.

وهو يجد للُقياني بكمال ميل الجنان، كوَجْدِ المثري بالعِقْيان، يأتي من بلاد نازحة على أقدام المحبة واليقين. فتى طيب القلـــب، يحبّنـــا ونحبّه، يسعى إلينا بجهد طاقة، ولو وجد فواقَ ناقة. انثال الله عليـــه من جوائز المجازاة، ووصائل الـــصلات، وأيـــد ببقائـــه الإســـلام والمسلمين. لـــه بقلبي عُلَقٌ عجيبة، وقلبه نَفوح غريبة. يختار في حبّي أنواع الملامة والتعنيف، ومفارقة المألف والأليف. ويتسنّى لـــه هجر الوطن لسماع كلامي، ويدَعُ التذكر للمعاهد لحبّ مقامي، ويتبعني في كل أمري كما يتبع حركة النبض حركـــة التـــنفس، وأراه في رضائي كالفانين.

إذا سئل أعطى و لم يتباطأ، وإذا دعي إلى خطّة فهو أول الملـــبين. قلبه سليم، وخلقه عظيم. كرمه كغزارة السحب، وصحبته يُـــصلح قلوب المتقشفين. ووَثْبُه على أعداء الدين وثبة شبلٍ مثار، قد أمطـــر الأحجار على كفار، ونقّر عن مسائل الويديين ونقّب، ونـــزل في بقعة النَّوكى وعاقبَ، فجعل سافل أرضهم عاليَها، وثقّـــف كتبـــه تثقيف العوالي لإفضاح المكذبين. فأخزى الله الويديين على يـــده، فكأن وجوههم أُسِفّتْ رمادا، وأُشربت سوادًا، وصاروا كـــالميتين. ثم أرادوا الكرة، ولكن كيف يحيا الأموات بعد مـــوتهم، فرجعـــوا كالمخفقِين. ولو كان لهم نصيب من الحياء لما عادوا، ولكن صـــار

الوقاحة كالتحجيل في حِلْية هذا الجيل، فهم يصولون كمذبوحين.

والفاضل النبيل الموصوف من أحب أحبائي، وهو من الذين بايعوني وأخلصوا معي نية العقد، وأعطوني صفقة العهد، على أن لا يؤثروا شيئًا على الله الأحد، فوجدته من الذين يراعون عهودهم ويخافون رب العالمين. وهو في هذا الزمن الذي تتطاير فيه الشرور، كالماء المعين الذي ينزل من السماء، ومن المغتنمين. ما آنستُ في قلب أحد محبةَ القرآن كما أرى قلبه مملوًّا بمودّة الفرقان. شغفه الفرقان حُبّا، وفي ميسمه يبرُق حبُّ آيات مبين. يُقذَف في قلبه أنوار من الله الرحمن، فيرى بها ما كان بعيدًا محتجبًا من دقائق القرآن، ويَغبطِني أكثر مآثره، وهذا رزق من الله، يرزق عباده كيف يشاء وهو خير الرازقين.

قد جعله الله من الذين ذوي الأيدي والأبصار، وأودع كلامه من حلاوة وطلاوة لا يوجد في غيره من الأسفار. ولفطرته مناسبة تامة بكلام الرب الجليل، وكم من خزائن فيه أُودعتْ لهذا الفتى النبيل. وهذا فضل الله لا منازع له في أرزاقه، فمن عباده رجال ما أعطي لهم بُلالة، ورجال آخرون أعطي لهم غَمْر، وما هم به من المتعللين. ولعمري إنه امرؤُ مواطنَ عظيمة، صدَق فيه قول من قال: "لكل علم رجال، ولكل ميدان أبطال"، وصدَق فيه قول قائل: "إن في

الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا". عافاه الله ورعاه، وأطال عمره في طاعته ورضاه، وجعله من المقبولين.

إني أرى الحكمة قد فاضت على شفتيه، وأنوار السماء قد نزلت لديه، وأرى تواتر نزولها عليه كالمتضيفين. كلما توجه إلى تأويل كتاب الله بجمع الأفكار، فتح ينابيع الأسرار، وفجر عيون اللطائف، وأظهر بدائع المعارف، التي كانت تحت الأستار، ودقّق ذرات الدقائق، ووصل إلى عروق الحقائق، وأتى بنور مبين. يمدّ العقلاءُ أعناقهم في وقت تقاريره متسلمين لإعجاز كلامه وعجائب تأثيره. يُري الحق كسبيكة الذهب، ويُزيح شبهاتِ المخالفين.

إن الوقت كان وقت صراصر الفلسفة، بل فسُد وخبُث، وملمَلَ كلَّ حدثٍ ما حدَث، وكان العلماء معروق العظم صفر الرايحة من دولة العلوم الروحانية، وجواهر الأسرار الرحمانية، فقام هذا الفتى وسقط على أعداء الرسول ﷺ كسقوط الشهب على الشياطين. فهو كحدقة العيون في العلماء، وفي فَلك الحكمة كالشمس البيضاء. لا يخاف إلا الله، ولا يرضى بالآراء السطحية، التي منبَتها النَّجْد غيرُ خَوْر، بل يبلغ فهمه إلى أسرار دقيقة المآخذ المخفية في أرض غَوْر. فللّه درّه، وعلى الله أجره. قد أعاد الله إليه دولة منهوبة، وهو من الموفقين. والحمد لله الذي وهب لنا هذا الحِبّ في حينه ووقته وأيام ضرورته، فنسأل الله تعالى أن يبارك في عمره وصحته وثروته،

ويعطينا أوقاتا مستجابة للأدعية لـــه ولعشيرته، ويشهد فراستي أن هذه الاستجابة✪ أمر محقوق لا مظنون، ونحن في كـــل يـــوم مـــن الآملين. والله إنّي أرى في كلامه شأنا جديـــدًا، وأراه في كـــشف أسرار التنـــزيل وفهم منطوقه ومفهومه من الـــسابقين. وإني أرى علمه وحلمه كالجبلين المتناوحين.. ما أدري أيهما فاق الآخر، إنما هو بستان من بساتين الدين المتين. رب أنزل عليه بركـــات مـــن

✪ **حاشية**: اعلم أن استجابة الدعاء سر من أسرار حكمة ربانية خصص بهـــا حزب الروحانيين. وقد جرت عادة الله أنه يسخر عالم المواليـــد وتـــأثيرات أجرام السماء وقلوب الناس عند دعوات أوليائه المقربين. فربما يستحيل الهواء الرديّ من عقد هممهم إلى صالحة طيبة، والصالحة إلى فاسدة وبائيّة، والقلوب القاسية إلى طبائع لينة متحننة، والمتحننةُ إلى قاسية غليظة، بإذن المتصرف في السماء والأرضين. وإذا اشتدت حاجة ولي الله إلى ظهور شـــيء معـــدوم، ويتوجه لظهوره باستغراق تام، فيحدث هذا الشيء بعقد همته، وكـــذلك إذا توجه الولي لإعدام الموجود فإذا هو من المعدومين. وذلك أصل الخـــوارق لا تحسها حاسة حكماء الظاهر، ولا يذوق طعمها عقـــول الفلـــسفيين. وإن للأولياء حواسا آخر تتنـــزل من تلقاء الحق. فإذا رزقوا من تلـــك الحـــواس فيتحلون بحلل مبتكرة، ويسمعون أغنية جديدة، ما سمعـــت أذن نظيرهـــا في العالمين. يصفى عقولهم بكمال الصفاء، ويؤتون علم ذرائـــع الاستنبـــــاط والاجتهاد. يُعجب العقولَ دقة غموضها، ويكفر بها كل غبي غـــير ذهـــين. وكان الله معهمَ في كل حالهم، وكانت يده على مهماتهم وأفعالهم. إذا غلقوا بابًا في الأرض فتغلق في السماء، وإذا فتحـــوا فتفـــتح في الأفـــلاك. دارت السماوات بدورة عزيمتهم، وقلب الأمور بتقلب هممهم، ويـــري الله خلقـــه عزتهم ووجاهتهم ليرغّب المتفطنين إليهم والسعيدين. منه.

السماء، واحفظه من شرور الأعداء، وكن معه حيثما كان، وارحم عليه في الدنيا والآخرة، وأنت أرحم الراحمين. آمين ثم آمين.

والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرًا وباطنًا، هو وليي في الدنيا والآخرة. أنطقني روحه، وحركتني يده، فكتبت مكتوبي هذا بفضله وإيمائه وإلقائه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو القادر في السماء والأرضين.

رب، كتبت هذا المكتوب بقوتك وحولك ونفحات إلهامك، فالحمد لك يا رب العالمين. أنت محسني ومنعمي، وناصري وملهمي، ونور عيني، وسرور قلبي، وقوة إقدامي. أموت وأنا شاكر نعمائك بحالي وقالي وكلامي. يشكرك عظامي في قبري، وعَجاجي في جَدَثي، وروحي في السماء. غلبت نعمتك على شكري، واستغرقت في نعمائك عيني وأذني وجناني ورأسي وجوارحي وظاهري وباطني، وأنت لي حصن حصين. أعوذ بك من آفات الأرض والسماء، ومن كل حاسد صوّاغٍ باللسان، وروّاغٍ من الحق العِيان، ومن كل لسانٍ سليط، وغيظٍ مستشيط، ومن كل ظلمة وظلام، ومن كل من يكون من المسيرة إليك من المانعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القصيدة

هذه القصيدة أنيقة رشيقة، مملوّة من اللطائف الأدبيّة والفرائد العربية، في مدح سيدي وسيد الثقلين، خاتم النبيين، محمد الذي وصفه الله في الكتاب المبين، اللهم صلِّ وسلِّم عليه إلى يوم الدين. وليست هذه من قريحتي الجامدة، وفطنتي الخامدة، وما كانت رويّتي الناضبةُ ضليعَ هذا المضمار، ومنبعَ تلك الأسرار، بل كل ما قلت فهو من ربي الذي هو قريني، ومؤيدي الذي هو معي في كل حيني، الذي يطعمني ويسقيني، وإذا ضللت فهو يهديني، وإذا مرِضت فهو يشفيني. ما كسبتُ شيئًا من مُلَحِ الأدب ونوادره، ولكن جعلني الله غالبا على قادره. وهذه آية من ربي لقوم يعلمون، وإني أظهرتها وبيّنتها لعلّي أُجزى جزاء الشاكرين، ولا أُلـحَق بالذين لا يشكرون.

يا عينَ فيضِ الله والعرفانِ يَسعَى إليكَ الخَلقُ كالظَّمآنِ

يا بحرَ فضلِ المنعِم المنّانِ تَهوِي إليك الزُّمْرُ بالكِيزانِ

يا شمسَ مُلكِ الحسن والإحسانِ نوَّرتَ وجهَ البَرِّ والعُمْرانِ

قومٌ رأَوك وأمّـــة قـــد أُخبرتْ مِن ذلك البدرِ الذي أصباني
يـــبكُون من ذِكر الجمال صبابةً وتألّمًا من لوعـــة الهِـــجرانِ
وأَرى القلوبَ لدى الحناجرِ كُربةً وأَرى الغروبَ تُسيلها العينانِ
يا من غـــدا في نـــوره وضِيائهِ كالنّـــيّـــرَين ونـــوَّر المَلَوانِ
يا بـــدرَنا يـــا آيةَ الرحمنِ أَهدَى الهُداةِ وأشجَعَ الشُّجعانِ
إنـــي أرَى في وجهكَ الْمتهلِّلِ شأنًا يفوقُ شمائـــلَ الإنسانِ
وقدِ اقتفاك أولو النُّهَى وبصدقِهم وَدَعُوا تذكُّـــرَ معهدِ الأوطانِ
قـــد آثروك وفارَقوا أحبابَهم وتباعَدوا من حلقـــةِ الإخوانِ
قد ودَّعوا أهواءَهم ونفوسَهم وتبرَّؤوا من كلِّ نَشْبٍ فـــانِ
ظـــهَرتْ عليهم بيِّناتُ رسولهم فتَمزّقَ الأهواءُ كالأوثـــانِ
في وقت تَرويقِ اللّيالي نُـــوِّروا واللهُ نجّاهم مـــن الطـــوفانِ
قد هاضَهم ظلمُ الأناس وضَيمُهم فـــتَـــثـــبَّتوا بعِناية المـــنّانِ
نَهَب اللِّئامُ نشوبَهم وعَقارَهم فتَهـــلَّـــلوا بجواهـــر الفُرقانِ
كسَحوا بيوتَ نفوسِهم وتَبادَروا لِتمتُّع الإيـــقانِ والإيـــمانِ
قاموا بإقـــدامِ الرسولِ بغَزوهم كالعاشق المشغوفِ في الميـــدانِ
فدَمُ الرّجالِ لِصدقِهم في حُبّهم تحتَ السيوف أُريقَ كالقربانِ

جاءوك منــــهوبين كالعــــريانِ فستَرتَـــهم بِمَلاحِف الإيمانِ
صادَفــتَهم قومًا كرَوثٍ ذِلّــةً فجـــعلتَهم كسَبيكةِ العِقْيانِ
حتى انْـــثنَى بَـــرٌّ كمثل حديقةٍ عَذْبِ الموارِد مثمرِ الأغصانِ
عادت بلادُ العُرْبِ نحوَ نضارةٍ بعد الوَجى والمَحْلِ والخسرانِ
كان الحـــجازُ مَغازِلَ الغِـــزلانِ فـــجعَـــلتَهم فانِينَ في الرحمنِ
شيـــئانِ كان القومُ عُمْيًا فيهما حَسْوُ العُقارِ وكثرةُ النّسوانِ
أما النّساء فحُـــرِّمتْ إنكاحُها زوجًا له التّحريمُ في القــرآنِ
وجعلتَ دَسْكَرَةَ المُدامِ مُخرَّبًا وأزلتَ حانتَها مـــن البلدانِ
كَمْ شاربٍ بالرَّشْفِ دَنًّا طافِحًا فجـــعلتَه في الدِّين كالنَّشْوانِ
كَمْ محدِثٍ مستنطِقِ العِيدانِ قد صار منك محدَّث الرحمنِ
كَمْ مستهـــامٍ لِلرَّشوفِ تعشّقًا فجذَبتَه جَـــذْبًا إلى الفرقانِ
أحييتَ أمواتَ القرون بجَلوةٍ ماذا يماثلك بـــهـــذا الشّانِ
ترَكوا الغَبوقَ وبدَّلوا من ذوقهِ ذوقَ الدّعاءِ بليلةِ الأحزانِ
كانوا بِرَنّاتِ المَثاني قبلَها قد أُحصروا في شُحِّها كَالعانِي
قـــد كان مَرتَعُهم أغانِي دائمًا طورًا بِغِيدٍ تارةً بـــدِنـــانِ
ما كان فكرٌ غيرَ فكرِ غَوانِي أو شُربِ راحٍ أو خيالِ جِفانِ

كانوا كمشغوفِ الفسادِ بجهلِهم راضِـــين بالأوساخ والأدرانِ
عيبانِ كان شِعارَهم من جهلِهم حُمْقُ الحمارِ ووَثْبةُ السِّرْحانِ
فطلَعتَ يا شمسَ الهدى نُصحًا لهم لتُضيئَهم من وجهِك النّوراني
أُرسلتَ من رَبٍّ كريم محسِـــنٍ في الفتنة الصَّمّاءِ والطُّغيـــانِ
يا لَلفـــتى ما حســـنُه وجمالُـــهُ رَيّاه يُصبِي القـــلبَ كالرَّيحانِ
وجهُ المهَيمِنِ ظاهرٌ في وجهِـــهِ وشـــؤونُه لـــمَعتْ بهذا الشّانِ
فلِذا يُحَبُّ ويستحِقُّ جمالُـــــهُ شَغَفًا به من زمرةِ الأخـــدانِ
سُجُحٌ كريم باذِلٌ خِلُّ الـــتُّـــقى خِرْقٌ وفاقَ طوائفَ الفتيـــانِ
فـــاق الـــورَى بكمالِه وجمالِهِ وجلالِه وجَنانِـــه الرَّيّــــانِ
لا شكّ أنّ **محمّدًا** خيرُ الـــوَرى رَيْـــقُ الكرامِ ونخبةُ الأعيـــانِ
تـــمّتْ عليه صفاتُ كلِّ مَـــزِيّةٍ خُـــتِمتْ به نَعْماءُ كلِّ زمانِ
واللهِ إن **محـــمـــدًا** كـــرَدافـــةٍ وبهِ الوصولُ بِسُدّة السّلطانِ
هو فخرُ كلِّ مطهَّرٍ ومـــقـــدَّسٍ وبه يُباهي العسكرُ الرّوحاني
هو خيرُ كلِّ مقـــرَّبٍ متقـــدِّمٍ والفضلُ بالخيرات لا بزمانِ
والـــطَّلُّ قد يبدو أَمامَ الـــوابِلِ فالطَّلُّ طَلٌّ ليـــس كالـــتَّهْتانِ
بطلٌ وحيدٌ لا تَطيشُ سِهامُـــــهُ ذو مصمِياتٍ مُوبِقُ الشّيطانِ

هــو جَنّــةٌ إني أرى أثمــارَهُ وقُطوفَه قد ذُلِّلتْ لِــجَــناني
ألفَيتُــه بحرَ الحقائق والــهــدى ورأيتُه كالدُّرِّ في اللَّمَــعــانِ
قد ماتَ عيسى مُطرِقًا ونبــيُّــنا حيٌّ، وربّي، إنهُ وافانــــي
واللهِ إني قد رأيتُ جمالَــــــهُ بعيــونِ جسمي قاعدًا بمكاني
ها إنْ تَظنَّــيتَ ابْنَ مريمَ عائشًا فعليك إثباتًا من الــــبرهانِ
أفأنت لاقَيتَ المسيحَ بيَقْــظــةٍ أو جاءك الأنباءُ مِــن يَقْظانِ
اُنظُرْ إلى القرآن كيف يــبــيِّنُ أفأنت تُعرِض عن هدى الرحمنِ
فاعلَــمْ بأن العيشَ ليس بثابتٍ بل مات عيسى مثلَ عبدٍ فانِ
ونبيُّنا حيٌّ وإني شــــاهــــدٌ وقد اقْتطَفتُ قَطائفَ اللُّقيانِ
ورأيتُ في رَيعانِ عُمْري وجهَــهُ ثم النبيُّ بِيَقْظــتي لاقــانِي
إني لقد أُحيِيتُ مِــن إحــيائه واهًا لإعجازٍ فما أَحْــياني!
يا رَبِّ صَلِّ على نبــيّك دائــمًا في هذه الــدنيا وبعثٍ ثــانِ
يا **سيِّدي** قد جئتُ بابَك لاهِفًا والقومُ بالإِكفــارِ قد آذاني
يَفرِي سهامُك قلبَ كلِّ محاربٍ ويشُــجُّ عَزْمُكَ هامةَ الثّعبانِ
للهِ دَرُّك يا إمــامَ العــالَــمِ أنت السَّبوقُ وسيّدُ الشّجعانِ
اُنظُرْ إليَّ برحمــةٍ وتحــنُّــنٍ يا سيّدي أنا أحقَــرُ الغلمانِ

يا حِبِّ إنك قد دخَلتَ محبّـــةً في مُهْجَتي ومَدارِكي وجَناني
مِن ذِكرِ وجهِك يا حديقةَ بَهجتي لَمْ أَخْلُ في لحـــظٍ ولا في آنِ
جسمي يطيرُ إليك مِن شوقٍ عَلا يا ليتَ كانت قوّةُ الطَّـــيَرانِ

القصيدة المبتكَرة المحبَّرة

التي خاطري أبو عُذْرِها، وقد أودعتُها أشعارًا تشفي صدورَ المتفكرين، وتروي أُوامَ الصّادين

بِمُطّلِعٍ على أسرارِ بالي ... بعالِمِ عَيبتي في كلّ حالي
بوجهٍ قد رأى أعشارَ قلبي ... بمستمعٍ لِصَرْخي في اللّيالي
لقد أُرسلتُ مِن ربٍّ كريمٍ ... رحيمٍ عند طوفان الضّلالِ
وقد أُعطيتُ برهانًا كرُمْحٍ ... وثقَّفْناه تثقيفَ العَوالي
فلا تَقْفُ الظُّنونَ بغير عِلمٍ ... وخَفْ أخذَ المحاسِبِ ذي الجلالِ
ترى آياتِ صدقي ثم تنسَى ... لَحاك اللّهُ، ما لك لا تُبالي
تَعالَ إلى الهدى ذُلاًّ خضوعًا ... إلى ما تكتسي ثوبَ الدَّلالِ
وإنْ ناضلتَني فترى سهامِي ... ومثلي لا يفرُّ من النِّضالِ
سِهامي لا تَطيش بوقت حربٍ ... وسيفي لا يغادِر في القتالِ
فإنْ قاتلتَني فأريك أني ... مقيم في ميادين القِتالِ
أبالإيذاءِ أترُك أمرَ ربّي ... ومِثلي حين يؤذَى لا يبالي
وكيف أخاف تهديدَ الخُناثى ... وقد أُعطيتُ حالاتِ الرّجالِ

ألا إنـــي أقاومُ كـــلَّ ســـهمٍ وأَقلي الاِكتـــنانَ عن النِّـــبالِ
فإنْ حـــربًا فحربٌ مثل نـــارٍ وإنْ سلمًا فسِـــلْمٌ كالـــزُّلالِ
وحربي بِالـــدّلائل لا السِّهامِ وقولي لَهْـــذَمٌ شاجُ القُـــذالِ
وفاقَ السيفَ نُطقي في الصِّقالِ قدِ اغْـــتلتُ المكـــفِّرَ كالغزالِ
و لم يَزَلِ اللّئامُ يـــكـــفِّـــروني إلى أنْ جاء نصرةُ ذي الجلالِ
وقد جادلَتنـــي ظلـــمًا وزورًا وجاوَزتَ الدِّيانةَ في الجِـــدالِ
ولو قـــبلَ الجدالِ سألتَ مـــني جُذِبتَ إلى الهدى قبلَ الوبالِ
لنـــا في نصرةِ الـــدِّينِ المـــتينِ مَساعٍ في التـــرقّي والـــكمالِ
هداني خالقي نهجًا قـــويمًا وربّانـــي بـــأنواعِ النَّـــــوالِ
لقـــد أُعـــطيتُ أسرارَ السّرائرْ فسَلْ إن شئت من نوعِ السؤالِ
وقـــد غوَّصتُ في بحر الفَناءِ فعُدتُ وفي يدي أبهَى الـــلآلي
رأيتُ بفضل ربّي سُـــبْلَ ربّي وإن كانت أَدَقَّ من الـــهلالِ
وكَمْ ســـرٍّ أراني نـــورُ ربّي وآياتٍ على صـــدق المقالِ
وعِلـــمٍ يَبهَـــرَنَّ عقولَ نـــاس ورأيٍ قد علا قُنَنَ الجبـــالِ
سعيتُ وما وَنَيتُ بشوق ربّي إلى أَن جاءني رَيّا الوصـــالِ
وقـــد أُشرِبتُ كأسًا بعد كأسٍ إلى أن لاحَ لي نـــورُ الجمالِ

وقد أُعطيتُ ذوقًا بعد ذوقٍ وَنَعْماءَ المَحبّةِ والــــدَّلالِ
وجَــدتُ حياةَ قلبي بعد موتي وعادتْ دولتِي بعدَ الــزّوالِ
لُفاظاتُ المَوائدِ كان أُكْــلِي وصِرتُ اليومَ مِطْعــامَ الأهالي
أزيد بفضــله يومًا فيــومًا وأُصلِي قلبَ منتظــرِ الوبالِ
ألا يا حاسدي خَفْ قهرَ ربّي وما آلُوك نُصحًا في المــقالِ
فلا تستكبِرَنَّ بفَورِ عُجْــبٍ وكَمْ مِّن مُزدَهٍ صــيدُ النَّكالِ
أَلا يا خاطِبَ الدّنــيا الدّنِيّــهْ تَذكَّــرْ يومَ قُرْبِ الْارتحالِ
سهــامُ الموتِ تفجَأُ، يا عزِيزي ولو طالَ المَدَى في الْانتــقالِ
هداك اللهُ قد جادلتَ بغــضًا وما فكّــرتَ في قولي وقالي
وكَمْ أكفَرتَني كــــذبًا وزورًا وكَمْ كذَّبتَ مِن زَيغ الخيالِ
وإني قد أرى قد ضاع دِينُــكْ فقُــمْ وَارْبَــأْ به قبلَ الرِّحالِ
حياتُك بالتغافلِ نوعُ نومٍ وأيامُ المعــاصي كاللّــيالي
ولستُ بطالبِ الدُّنيا كَزعمِكْ وقــد طلَّــقتُــها بِالاعتزالِ
ترَكْنا هذه الدّنيا لــــوجــهٍ وآثَــرْنا الجَمالَ على الجِمالِ
وإنكَ تزدرِي نُــطقي وقــولي ولو صادَفــتَه مــثلَ الــلآلي
فلا تنظُــرْ إلى زَحْفٍ فإنــي نظَــمتُ قصيــدتي بِالْارتجالِ

القصيدة

أُمِرتُ مِن الله الكريمِ الـــممجّدِ فقـــمتُ و لم أكسَلْ و لم أتبلّدِ
وهذا كتابي قد تلألأَ وجهُـــهُ تلألُؤَ سِمْطَي لؤلؤٍ وزَبَـــرْجَدِ
ترَى نـــورَ العرفان فيه كـــأنه أَياةُ ذُكاءٍ أو بـــريقُ العَسجدِ
وإنـــي أرى فيه الشفاءَ لطالب ويُشفَى به قلبُ السعيد ويهتدي
وأودعتُه أسرارَ علم وحكـــمة ورتّبـــتُه مثلَ الثـــقيفِ المسنّدِ
وكم مِن لآلي فيه مِن سرّ الهدى فيا صاحِ فَـــتِّشْها ولا تتجلّدِ
وقد بانَ وجهُ الحق فيه وضاحةً كخـــدٍّ نقيِّ اللّونِ لم يتخدّدِ
وإنـــي من الله الكريم مـــجدِّدٌ ومنه مباراتي وسيفي وأَجْرَدي
ووالله إني من نـــخيل خـــميلة وحِبِّي ببستاني يروح ويغتدي
وقد خَـــصَّني ربّي وألقى رداءَه عليّ فما تَدرُون ما تحتَ بُرْجُدي
وقد ذُلِّلتْ نفسي بتوفيق خالقي فليس كمثلي فوقَ مَوْرٍ معبَّدِ
نما كلُّ علمٍ صالحٍ في قريـــحتي كأشجارِ مَولِيِّ الأسرّة أَغْيَدِ
فجدّدتُ توحيدًا عفَـــتْ آثارُهُ وطهّرتُ أرضَ الدين من كل جَلْسَدِ

وقومي يعاديني غرورًا ونـــخوةً متى أَدنُ رحمًا يَنْأَ عنّي ويبعُدِ
يسبّ وما أدري على ما يسبّني أيُكفَرُ من يُعلي لواءَ محمدِ (ﷺ)
يزاحمني مِن كلّ باب فـــتحتُها لنصرِ رسول الله حِبّي وسيّدي
وقد أكفروني قبلَ كشفِ حجابهم ويعلم ربِّي صدق قولي ومقصدي
ورُبَّ وليِّ الله برٌّ مقـــرَّبٌ يُرَى في عيون الحاسدين كمُلحِدِ
وأيقظتُهم رحمًا عليهم وشفقةً ولكنّهم أعـــداءُ كلِّ مسهِّـــدِ
ولستُ بتارك أمر ربي مـــخافةً ولو قـــتّلوني بالحسام المجرَّدِ
وكيف أخاف نهيقَ قومٍ مفنَّدٍ مثيل عُواء الذئب بل صوت جُدْجُدِ
وكيف يؤثّر حجّتي في نفوسهم ولا حَظَّ مِن سرّ الهدى لِضَفَنْدَدِ
تبـــينتِ الآياتُ حقًّا فما رأوا وصالُوا وخالوني على غير مرصدِ
وإني أَبَنْتُ لهم دلائل مقصدي وليس لهم أدنى الدلائل في اليدِ
وقد استتروا كالطير في وُكناها لما عجزوا مِن قِبل عَضْبٍ محدَّدِ
فما قاوموني في مصافٍ وما اهتدوا فقلنا اخْسَئُوا لا خوفَ منكم لمهتدي
وكيف أعالج قلبَ وجهٍ مسوَّدٍ غبيٍّ شقيٍّ في البطالة ★ مفسدِ

★ هذا لفظ ذو معنيين: المعنى الأول فظاهر، والمعنى الثاني فهو إشارة إلى بلدة اسمه "بتاله"، ويسكن فيها فتّان مفسد اسمه شيخ محمد حـــسين، وإليه أشرت في هذه القصائد التي اقتضبتُها، ورسالتي التي كتبتها. وهذا

ويعلون دِعْصَ الرمل هربًا وكلّهم   كرَبْرَبِ ثورِ الوحش يخشون **جَدْجَدي**

وقلت لهم يا قوم خَفْ قهرَ قادرٍ   وأَقْصِرْ ومَهْلاً بعضَ هذا التشددِ

فمـــا تركوا أوزارَ شرٍّ وفتـــنةٍ   وما خافـــوا نيرانَ يـــومٍ مُبدِّدِ

وقد تركـــوني نخوةً وتباعـــدوا   وليس فؤادي عن هواهم بمُبْعدِ

❁❁❁❁❁

امرءٌ مفلس لم يُرضَع ثديَ الأدب ولم يُرزَق من العلوم النُّخَب، وهو من الذين يؤثرون الثرائدَ ويَدَعون الفرايد، ومع ذلك هو عدو الحق خبيـــث الأنفاس دنيءُ النُّحاس ثعبان الأخفاس مع الفحيح والانتهاس، أصـــلَتَ لسانَه عليّ كالعَضْب الجرّاز والفاس، وكشّر عن أنيابه كالذياب عنـــد الافتراسِ، وإنه صفر اليد من العلوم وأُزْمُول كناس الوسواس وزاملتـــه الخنّاسُ. سردتُ على كتابي فأبى، ودنوتُ ترحمًا فتحامى. فتاقت نفسي الآن إلى أن أفضّ ختمَ سرِّه الأخفى، ليعلم الناس أن الحق مبين والشيخ شُيَيْطِينٌ. منه